الرابطة

السنة 59 العدد: 679 شعبان 1444هـ. مارس 2023 م

* تعاون مشترك في مواجهة «الإسلاموفوبيا»

* د. العيسى يبحث والمفوض السامي لشؤون اللاجئين تطوير الشراكة

د. العيسى يلتقي رئيس أساقفة فيينا في الرياض

الرابطة
شهرية. علمية. ثقافية. تصدرها رابطة العالم الإسلامي
السنة 59 العدد: 679 شعبان 1444هـ. مارس 2023 م

واجب الاستجابة للمعاناة الإنسانية

يعيش الشعبان التركي والسوري في منطقة الزلزال معاناة مضاعفة من جراء فقدان الآلاف من الناس أرواحهم، وتدمير البيوت والممتلكات، وتعرض الملايين للنزوح ومواجهة أسوأ الظروف مع البرد والجوع.

رابطة العالم الإسلامي قدّمت العزاء والمواساة للشعبين السوري والتركي، ولذوي الضحايا والمصابين؛ جراء كارثة الزلزال المؤسفة، وأعرب الأمين العام للرابطة، رئيس هيئة علماء المسلمين، الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى، عن التضامن الكامل مع الشعبين في هذا المصاب الكبير، سائلاً المولى سبحانه أن يتغمّد المتوفين بواسع رحمته، ويسكنهم فسيح جناته، وأن يمنَّ على المصابين بالشفاء العاجل.

لقد عمَّ الشعور العميق بالحزن على الموتى والمفقودين، وساد التعاطف مع المتضررين، وبادرت جهات عديدة إلى تقديم الدعم بروح الإيثار والتضامن.

وتستمر الجهود لمواجهة الكارثة عبر زيارات المسؤولين، وإصدار بيانات الدعم، وإرسال تبرعات ومساعدات إغاثية وفرق بحث وإنقاذ وطواقم طبية لتخفيف المصاب.

لكن حتى في أثناء المحنة القاسية، وحياة مئات الآلاف على المحك في سوريا، يواجه العاملون في العون الإنساني تحدياتٍ تحول دون الاستجابة الطارئة الفعّالة، والوصول السريع للمتضررين في بعض المناطق، وتقديم المساعدة المنقذة للحياة.

إن الوضع الاستثنائي في الشمال السوري لا بد له من استجابة استثنائية، فعلى منظمات الأعمال والمال زيادة الإجراءات الملائمة لضمان حماية المتضررين في هذه المناطق التي تحتاج مع الإغاثة العاجلة إلى إعادة الإعمار بعد الحرب الطاحنة وفاجعة الزلزال.

ولعل لحظات الأزمة الإنسانية باعثة على الوعي بجدوى الاستقرار والأمن والبعد عن الصراعات والحروب، ودافعة للعمل بروح الفريق من أجل بناء الأمة بعيدًا عن التعصب العرقي أو الجهوي أو السياسي.

وفي مثل هذه الأوقات العصيبة لا بد من التضامن والتعاون، لأن واجب الاستجابة للمعاناة الإنسانية يستلزم القفز فوق الخلافات السياسية والجهوية والدينية، إذ إن هذه الكوارث حين تقع فإنها تجعل الأرض تميد تحت أقدام الجميع، وتضعهم أمام مصير مشترك.

والعالم الإسلامي عليه مسؤولية خاصة تجاه شعوبه، امتثالاً لمبدأ التعاون والتعاضد الذي يجسده التوجيه القرآني: "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"، وكذلك المبدأ النبوي: "مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر".

المحتويات

العدد: ٦٧٩ ـ شعبان ١٤٤٤ هـ ـ مارس ٢٠٢٣ م

4 د.العيسى يلتقي رئيس أساقفة فيينا في الرياض

6 د.العيسى يبحث والمفوض السامي لشؤون اللاجئين تطوير الشراكة

8 تعاون مشترك في مواجهة «الإسلاموفوبيا»

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية

وكيل الاتصال المؤسّسي

أ. عبدالوهاب بن محمد الشهري

المدير العام للتحرير والنشر

أ. شاكر بن صلاح العدواني

رئيس التحرير

د. عثمان أبوزيد عثمان

المستشار الإعلامي

د. أحمد بن حمد جيلان

مدير التحرير

عبدالله باموسى

قراءة في إعلان القيم الإنسانية المشتركة 21

رابطة الجامعات الإسلامية تنظم مؤتمر «الوعي الديني للشباب في العصر الرقمي» 24

العقوبات الشرعية بين رحمة الإسلام وشبهة المخالفين 46

المراسلات:

مجلة الرابطة ص.ب ٥٣٧ مكة المكرمة

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٣٨٧

المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير

البريد الإلكتروني:

mwljournal@themwl.org

الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت:

www.themwl.org

طبعت بمطابع تعليم الطباعة

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٤٣

ردمد: ١٦٥٨-١٦٩٥

بدعوة من الرابطة

د.العيسى يلتقي رئيس أساقفة فيينا في الرياض

الرياض:

جانب من غداء العمل الذي جمع الدكتور العيسى والكاردينال شونبرون

استقبل معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين، فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، في مقرِّ الرابطة الفرعيِّ بالرياض، نيافة الكاردينال الدكتور كريستوف شونبرون، رئيس أساقفة فيينا، الذي وصل والوفد المرافق له إلى الرياض، بدعوةٍ من رابطة العالم الإسلامي.

وتكتسِبُ هذه الزيارة -التي أعلن عنها الفاتيكان- أهميةً كبيرةً؛ حيث يُعَدُّ ضيف الرابطة، نيافة الكاردينال شونبرون، أحدَ أبرز القيادات الدينية الفاعلة في مجال تعزيز الصداقة والتعاون بين الحضارات وفق مُشتركها الإنساني.

ورحَّبَ معالي الدكتور العيسى بنيافته ضيفًا على الرابطة، ثم ناقش الجانبان عددًا من القضايا ذات الاهتمام المشترك، ولا سيما جهود بناء الجسور بين الأمم والشعوب.

هدية تذكارية يتسلمها أمين عام رابطة العالم الإسلامي من رئيس أساقفة فيينا

وأهمية التعاون والتواصل الفاعل بين قادة الأديان في مواجهة أفكار ودعوات الصِّدام الحضاري.

وتناول اللقاءُ الحديثَ عن وثيقة مكة المكرمة وتأثيرها العالمي البارز في العلاقات بين الأديان والثقافات، ودورها الفاعل في معالجة أبرز الأزمات الدولية.

وأشاد الكاردينال بمنجزات الوثيقة على الصعيد العالمي، وبخاصةٍ ما حملته مضامينُها من رسائلَ إيجابيةٍ للأجيال القادمةِ، كونها خَصَّصَت -في مضامينها- حديثًا عن الشباب وتمكينهم. وأبدى الكاردينال شونبرون اهتمامه الكبير جدًا بأعمال الرابطة ومبادراتها الدولية، مؤكِّدًا تطلُّعه للعمل المستقبلي سويًّا.

د.العيسى لدى لقائه الكاردينال الدكتور كريستوف شونبرون في مقر الرابطة الفرعي بالرياض

د.العيسى يبحث والمفوض السامي لشؤون اللاجئين تطوير الشراكة

الرياض:

التقى معالي الأمين العام، رئيس هيئة علماء المسلمين، فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، في المقرِّ الفرعيِّ للرابطة في الرياض، سعادةَ المفوّض السامي للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين السيد فيليبو غراندي.

وفي بداية اللقاء، رحّب معالي الدكتور العيسى بسعادة المفوّض السامي للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، مؤكِّدًا على الأهمية البالغة للجهود التي تبذلها المفوّضية في خدمة اللاجئين والنازحين حول العالم، وبخاصةٍ في ظل الأزمات العالمية المتلاحقة التي تُفاقم من هذه القضية الدولية المقلقة، ومن معاناتهم، في حين ثمَّن السيد فيليبو غراندي مساندة رابطة العالم الإسلامي لجهود المفوّضية في خدمة اللاجئين، والمبادرات المتنوعة التي قدّمتها لدعم احتياجاتهم في المجتمعات المُضيفة، منوِّهًا -في هذا السياق- بأهمية الشراكة الطويلة والوثيقة التي تجمع الجانبين، والتي كان لها أثرٌ إيجابيٌّ واسعٌ على تخفيف معاناة اللاجئين والنازحين وحمايتهم.

وشهِد اللقاءُ عقْدَ مناقشاتٍ موسعةٍ؛ لتعزيز آليات التعاون المشترك بين الرابطة والمفوضية، من أجل حشد الدعم العالمي لقضايا اللاجئين والنازحين، ورفع الوعي

في المجتمعات الإنسانية بالمعاناة التي يعيشونها، وما يقتضيه الواجب الإنساني والأخلاقي من احتضانهم والوقوف معهم في هذه الظروف العصيبة.

وأكَّد اللقاءُ أهميةَ الفتوى التي أصدرها المجمع الفقهي الإسلامي، التابع لرابطة العالم الإسلامي، بجواز دفع الزكاة للاجئين عن طريق المفوّضية، وما أحدثَه هذا المسار المبتكر للدعم من فارقٍ كبيرٍ في حياة ملايين اللاجئين والنازحين حول العالم.

كما ناقش اللقاءُ ابتكار مباداراتٍ مستقبليةٍ لتطوير مسار الشراكة بين الرابطة والمفوّضية من أجل دعم الاستجابة الإنسانية للاحتياجات المُلحّة للاجئين حول العالم، والإسهام في حمايتهم من المخاطر التي تواجههم خلال رحلة اللجوء، وفي المجتمعات المُضيفة، وتفعيل برامج إدماجهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وتسهيل حصولهم على الخدمات الأساسية، وتوفير فرص العمل والعيش الكريم، والعمل على إيجاد حلولٍ مُستدامةٍ لقضاياهم.

تعاون مشترك في مواجهة «الإسلاموفوبيا»

الرياض:

استقبل معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين، فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، في المقرِّ الفرعيِّ للرابطة بالرياض، وفدًا رفيعَ المستوى من ملكة ماليزيا، يرأسه معالي وزير الخارجية الماليزي الدكتور زامبري عبدالقادر.

ورحَّب معالي الأمين العام بمعالي الوزير الدكتور زامبري والوفد المرافق له، فيما نقل الأخير لمعاليه تحيات دولة رئيس الوزراء الماليزي السيد أنور إبراهيم.

ثم جرى خلال اللقاء بحْثُ عددٍ من المستجدات ذات الاهتمام المشترك على الساحتين الإسلامية والدولية، وآليات التعاون الثنائي حيالها، وفي مقدمتها تعاون رابطة العالم الإسلامي والحكومة الماليزية في مواجهة تنامي ظاهرة "الإسلاموفوبيا" وعموم خطابات الكراهية، التي تثير الانقسامات داخل المجتمعات الوطنية وتؤجّج

الصراع والصـــدام بين الثقافات والحضـــارات، متناولًا في هذا السياق الجرائمَ العبثيةَ المعزولةَ والمرفوضةَ دوليًّا، التي تعمَّد فيها بعض المتطرفين المعزولين الإساءةَ لنُسَخٍ من المصحف الشريف.

كما شهد اللقاء مناقشة مهمات مجلس علماء جنوب شـــرق آســـيا، الذي يُعَـــدُّ أول تضامنٍ عُلمائـــي في تاريخ المنطقة، توافق على إنشـــائه -تحت مظلة رابطة العالم الإســـلامي- أكثر من 44 عالمًا ومفتيًا وقائدًا دينيًّا من 17 دولةً، في حدث غير مسبوق من نوعه، التأم جمعُهُ بدعوةٍ من معالي الأمين العام للرابطة الشـــيخ الدكتور محمد العيسى، وأعلنت ماليزيا عن استضافة مقرِّه الرئيس في عاصمتها كوالالمبور، ليكون منصةَ تضامنٍ تُنظّم جهودَ علماء جنوب شرق آسيا وقياداتها تجاه قضاياهم الكبرى، في ظل التحولات بالغة الأهمية التي تعيشها المنطقة، وقد ثمّن معالي الأمين العام للرابطة ما تتميز به ماليزيا من النمـــوذج الحضاري الأمثل للتعايش بين التنوع الديني والإثني.

الرابطة تدين الإقدام على حرق نسخة من المصحف الشريف

مكة المكرمة:

أدانت رابطة العالم الإسلامي العمل العبثي والاستفزازي المشين الذي قام به أحد المتطرفين، بإقدامه على حرق نسخة من المصحف الشريف في ستوكهولم بالسويد.

جاء ذلك في بيانٍ للرابطة، حذّر فيه معالي أمينها العام، رئيس هيئة علماء المسلمين، فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، من خطورة الممارسات المثيرة للكراهية واستفزاز المشاعر الدينية التي لا تخدم سوى أجندات التطرُّف، لافتاً إلى أن مثل هذا التصرف الأهوج **يسيء** "في جملة إساءاته" لمفهوم الحريات وقيمها الإنسانية.

وجدّد معاليه التأكيد على أن هذه المجازفات الهمجية لن تزيد المسلمين إلا إيماناً مع إيمانهم، وثباتاً على قيمهم الداعية دوماً للسلام والتعايش، ولن تزيدهم إلا التفافاً صادقاً حول دُوَلهم الوطنية، وإسهاماً فاعلاً في تعزيز استقرارها ووئامها، ومُضِيّاً نحو تفويت الفرص على رهانات **الأيديولوجيات** المتطرفة التي ستخسر **ولا بد** "بعون الله" أمام الوعي الإسلامي الرفيع.

د. العيسى يلتقي مديرة شؤون الشرق الأوسط وشمال إفريقيا

• التقى معالي الأمين العام رئيس هيئة علماء المسلمين فضيلة الشيخ د. محمد العيسى في مكتبه بالرياض سعادة مديرة شؤون الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بهيئة العمل الخارجي بالاتحاد الأوروبي السيدة هيلين لوغال، والوفد المرافق لها. وجرى خلال اللقاء استعراض مستجدات الموضوعات ذات الاهتمام المشترك.

الأمين العام يلتقي وفد الاتحاد الإسلامي الإفريقي

• استقبل معالي الشيخ د. محمد العيسى وفد الاتحاد الإسلامي الإفريقي برئاسة فضيلة الأمين العام للاتحاد الشيخ أبو بكر عمر نيانغ. وثمن الوفد الدور الإسلامي الريادي الذي تقوم به الرابطة حول العالم، فيما أكد فضيلة الشيخ العيسى بأن الرابطة حسنةٌ من حسنات المملكة أهدتها للعالم الإسلامي.

د. العيسى يستقبل السفير المفوض فوق العادة لجمهورية البرتغال

• استقبل معالي الأمين العام رئيس هيئة علماء المسلمين الشيخ د. محمد العيسى في مكتبه بالرياض، سعادة السفير المفوض فوق العادة لجمهورية البرتغال لدى المملكة العربية السعودية، السيد نونو فولتير ماتياس. وناقش الجانبان الموضوعات ذات الاهتمام المشترك.

د. العيسى يلتقي المدير التنفيذي لمنظمة مكافحة التهاب الكبد

• استقبل معالي الأمين العام، رئيس هيئة علماء المسلمين، الشيخ د. محمد العيسى في مكتبه بالرياض، سعادة المدير التنفيذي لمنظمة مكافحة التهاب الكبد السيد فين جارلي رود. وناقش الجانبان سبل التعاون لمكافحة التهابات الكبد الفيروسية التي تُسبِّب المعاناة للملايين حول العالم.

الأمين العام يستقبل الناشط الدولي ضد العنف وحامل جائزة نوبل للسلام

• التقى معالي الأمين العام رئيس هيئة علماء المسلمين الشيخ د. محمد العيسى في مكتبه بالرياض، الناشط الدولي ضد العنف وحامل جائزة نوبل للسلام د.دينيس موكويغي. وتناول اللقاء دورَ "وثيقة مكة المكرمة" الريادي في تعزيز العمل الجماعي العالمي ضد العنف والتطرف.

الأمين العام يلتقي سفير الفاتيكان لدى الأمم المتحدة

• التقى معالي الشيخ د. محمد العيسى في مكتبه بالرياض سفير الفاتيكان لدى الأمم المتحدة نيافة السيد نونسيو فورتشناتس، والمندوب الدائم لجامعة السلام "الأممية" لدى مكتب الأمم المتحدة بجنيف السيد ديفيد فيرناندیز. وثمَّن الضيفان ما وصفاه بالجهود الاستثنائية للرابطة حول العالم.

د. العيسى يستقبل سفير جمهورية الهند

• التقى معالي الأمين العام، رئيس هيئة علماء المسلمين، فضيلة الشيخ د. محمد العيسى في مكتبه بالرياض، سعادة سفير جمهورية الهند لدى المملكة العربية السعودية، السيد سهيل إعجاز خان، يرافقه وفدٌ من السفارة الهندية. وجرى خلال اللقاء بحثُ عددٍ من المستجدات والموضوعات ذات الاهتمام المشترك.

د. العيسى يستقبل القنصل العام للعراق في المملكة

• التقى معالي الشيخ د. محمد العيسى، في مكتبه بمكة المكرمة، المندوب الدائم لجمهورية العراق لدى منظمة التعاون الإسلامي، القنصل العام في المملكة العربية السعودية، الأستاذ محمد النقشبندي. وتناول اللقاء القضايا ذات الاهتمام المشترك، منوهاً بدور الرابطة في تعزيز العمل الإسلامي المشترك.

الأمين العام يلتقي عضو مجلس الشيوخ بباكستان

• استقبل معالي الشيخ د. محمد العيسى في مكتبه بمكة المكرمة، معالي عضو مجلس الشيوخ، الأمين العام لجمعية أهل الحديث المركزية بباكستان، الشيخ د.حافظ بخش. وتناول اللقاء تأكيد د. بخش على الدور البارز للمملكة في خدمة الإسلام والمسلمين، مع التنويه بمبادرتها التاريخية لوثيقة مكة المكرمة.

د. العيسى يلتقي مدير جامعة العلوم والتكنولوجيا في لاهور

• استقبل معالي الأمين العام، رئيس هيئة علماء المسلمين، الشيخ د. محمد العيسى، في مكتبه بمكة المكرمة، مدير جامعة العلوم والتكنولوجيا في لاهور، د.إبراهيم حسن مراد. وتطرق اللقاء لعدد من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك، وبخاصة تفعيل مضامين وثيقة مكة المكرمة في المسار التربوي بالجامعة.

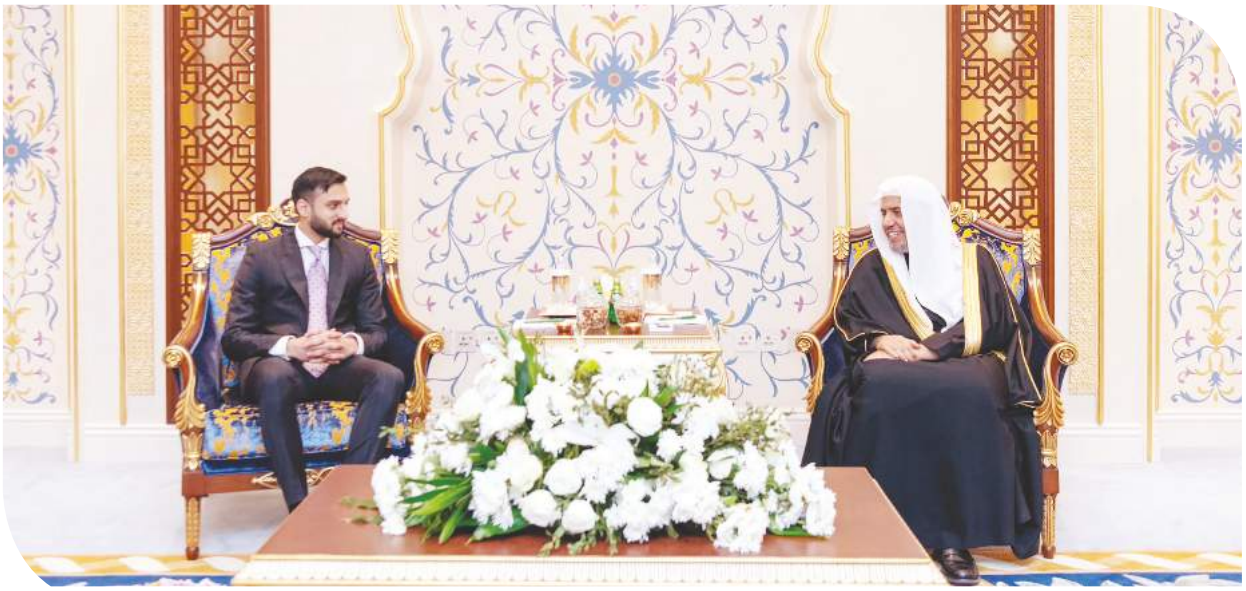

الأمين العام يستقبل رئيس الإدارة الدينية لمسلمي كازاخستان

• استقبل معالي الأمين العام، الشيخ د. محمد العيسى، سماحة المفتي نوريزباي أوتبينوف، رئيس الإدارة الدينية لمسلمي كازاخستان والمفتي العام، يرافقه سعادة السفير بيريك آرين، سفير كازاخستان لدى المملكة العربية السعودية. وجرى خلال اللقاء بحث عدد من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك.

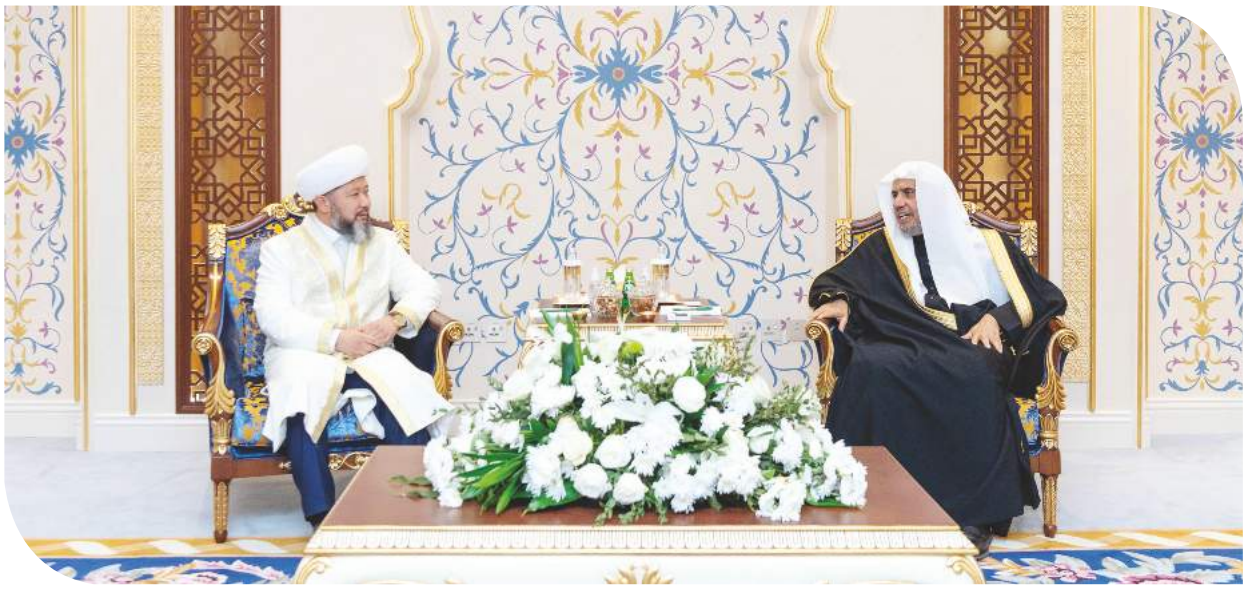

بحضور فخامة الرئيس الباكستاني

د. العيسى متحدثاً رئيساً في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر الأديان الدولي بإسلام أباد

بحضور فخامة الرئيس الباكستاني، ورئيس منظمة سانت اديجو وعدد من القادة الدينيين: معالي الأمين العام رئيس هيئة علماء المسلمين فضيلة الشيخ د. محمد العيسى متحدثاً رئيساً "عبر الاتصال المرئي" في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر الأديان الدولي بإسلام أباد.

٣,٣ ملايين مستفيد من برنامج المجلس العالمي لشيوخ الإقراء لهذا العام

بتوفيق الله بلغ عدد مستفيدي برامج المجلس العالمي لشيوخ الإقراء، هذا العام، نحو 3.3 ملايين. المجلس يضم نخبة شيوخ الإقراء في العالم، ويمثل ذراع رابطة العالم الإسلامي لخدمة كتاب الله، وقد حقق تطويرُ منصاته الإلكترونية قفزة نوعية لبرامجه، ووسع بشكل غير مسبوق انتشارها حول العالم.

من برامج إدارة شؤون مجلس شيوخ الإقراء
برابطة العالم الإسلامي

المنصات الإلكترونية

موقع المجلس العالمي لشيوخ الإقراء

aleqraa.com

01

يتم من خلاله نشر ما يصدر عن المجلس من موضوعات متعلقة بتعليم القرآن وإقرائه.

02

وضع المعايير العلمية للموضوعات، وتدقيق أسانيد الإجازات والتصديق عليها.

موقع المقرأة التقنية العالمية

almaqraa.org

01

تقديم دورات علمية متخصصة في علم التجويد والقراءات وعلومها.

02

تأهيل المستفيدين لنيل الإجازة في الروايات والقراءات المتواترة بالسند المتصل إلى رسول الله "صلى الله عليه وسلم".

موقع وحدة معلومات الإقراء والتعليم القرآني

aiqlu.info

01

يعتبر مرصداً علمياً للمتخصصين من مختلف دول العالم.

02

يجمع ما يتعلق بمجال تعليم القرآن الكريم وإقرائه.

03

يضم تسعة أقسام.

عدد المستفيدين لهذا العام : **2,170,641**

themwl.org mwlorg

رابطة العالم الإسلامي
MUSLIM WORLD LEAGUE

الرابطة تدين اقتحام قوات الاحتلال الإسرائيلي مدينة ومخيم جنين

مكة المكرمة:

أدانت رابطة العالم الإسلامي، اقتحام قوات الاحتلال الإسرائيلي مدينة ومخيم جنين في دولة فلسطين العزيزة، في انتهاكٍ خطرٍ لكلّ القوانين والأعراف الدولية والإنسانية.

وفي بيانٍ للأمانة العامة للرابطة، ندَّد معالي أمينها العام، رئيس هيئة علماء المسلمين، فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى بهذا الاعتداء السافر، الذي تسبَّب في خسائر جسيمة في الأرواح.

وأهاب بأهمية العمل على مساعي السلام العادل والشامل، وإيقاف كلّ الممارسات التي تقوّض فرص الحل في المناطق المحتلة، مجدِّداً التأكيد على موقف رابطة العالم الإسلامي الراسخ إلى جانب الشعب الفلسطيني، وصولاً إلى حل قضيته المصيرية، التي تعدّ في طليعة القضايا الدولية الملحّة والمؤلمة.

ودعا الدكتور العيسى المجتمع الدولي إلى التدخل السريع لمنع أي تصعيد خطر يفضي إلى تداعي حل القضية، ومواصلة العُنف الذي تدفع ثمنه الدماء البريئة، ويعود بجهود السلام للوراء.

وتقدَّم فضيلة الدكتور محمد العيسى، بخالص التعازي والمواساة لذوي الضحايا والمصابين، ولحكومة وشعب فلسطين العزيز، سائلًا المولى عزّ وجلّ أن يتغمد المتوفين بواسع رحمته، ويسكنهم فسيح جناته، وأن يمنَّ على المصابين بالشفاء العاجل، وأن يحفظ فلسطين وشعبها من كلّ سوءٍ.

رابطة العالم الإسلامي
MUSLIM WORLD LEAGUE
themwl.org
mwlorg

مقال

قراءة في

إعلان القيم الإنسانية المشتركة

بقلم: الزبير مهداد ـ المملكة المغربية

خيراً فعلت مجلة الرابطة بنشرها الموفق للملف الخاص بملتقى القيم المشتركة بين أتباع الأديان، ما أتاح لعموم القراء الإحاطة بمضامين الأوراق المقدمة، ومحاور النقاش، وخلاصاته، والبيان الختامي الذي اختصر ذلك. فالإعداد الموفق للملف، وغنى محتواه، جعل القارئ يقف على ما دار في الملتقى بتفاصيله الكاملة، وكأنه كان حاضراً، مشاركاً فيه.

وهذا الملتقى حلقة من سلسلة اللقاءات والندوات والمشاورات التي عودتنا الرابطة، منذ تأسيسها، على تنظيمها، ودعوة العلماء والمختصين والباحثين للمشاركة فيها، من كل أنحاء العالم، بغض النظر عن لغتهم أو عقائدهم، إيماناً من الرابطة بأهمية الاختلاف والحوار، في ربط أواصر التعارف بين الشعوب.

وخلال السنوات الست الأخيرة، في ظل ولاية معالي الأمين العام الدكتور محمد العيسى، كثفت الرابطة جهودها وأنشطتها لتنظيم اللقاءات، ومناقشة وبحث المخاطر التي تواجه الأمة، التي تنذر بالصراع وتهدد السلم العالمي، إيماناً منها بأن ترسيخ التفاهم والتسامح والتعايش هو مسؤولية كل إنسان يقتسم الحياة على هذا الكوكب مع غيره، وأن الحوار الثقافي والإنساني بين شعوب العالم على اختلاف دياناتها وثقافاتها أمر من الأهمية بمكان في صنع السلام العالمي والتعايش المشترك بين الشعوب.

ولعل من أكبر المخاطر التي تواجهها البشرية اليوم، هو

عجزها عن إطفاء الصراعات وتجاوز الأزمات المتولدة عن إساءة فهم الاختلافات بين الشعوب، ما قد يؤدي إلى عجزها عن التعايش.

من العيش المشترك إلى المشتركات الإنسانية

لم تعجز الحضارات عن فهم وتقدير فطرة الاختلاف بين الناس، فأقرت العيش المشترك بين الناس على اختلافهم، بغض النظر عن الدين والانتماءات الأخرى، فاجتمع الناس في حدودهم الجغرافية، تربطهم وسائل العيش من مطعم

ومشـــرب وأساســـيات الحياة، يعترف كل منهم بحق الآخر دون اندماج وانصهار. وحرصاً على ضمان التعايش، وضعت التشريعات لزيادة فرص التعارف بين البشر، ولتقليل فرص التصادم بينهم؛ وذلك عن طريق البحث عن "مشـــتركات" يلتقي النـــاس جميعًا عليها، من أجل إنقاذ البشـــرية من مهالك وكوارث كونية تكفي الواحدة منها إلى إفناء النوع البشري.

إلا أن البشـــرية أيضاً، لـــم تعدم أشـــخاصاً آخرين، اختاروا طريقاً معاكســـاً، فلم يلتزموا بقيم التعايش والتسامح، وأذكـــوا الصراعات وأبـــرزوا القضايا الخلافيـــة وضخموها، وحولوها إلى كراهية.

فهناك دوماً مشتركات بين الناس على اختلاف انتماءاتهم الجغرافية، وأعراقهم، ولغاتهـــم، ومعتقداتهم. منها على ســـبيل المثـــال الأديان، وهي مشـــتركات ســـامية، وهناك مشتركات إنســـانية عامة بين كل البشـــر، كالاحتياجات البيولوجيـــة، والأخـــلاق الأساســـية؛ وهناك مشـــتركات إنسانية خاصة، كالثقافة والأعراف واللغات.

بين المشترك الديني والمشترك الإنساني

لعل المشترك الديني يجمع أبناء الطائفة فقط، ولا يجمع كل الناس، فلا يلتئم في أحضانه إلا المنتســـبون إليه، وقد ينؤون عن غيرهم الذين لا يشتركون معهم في الملة. وهذا الجانب هو الذي يســـتغله الذين اختاروا الطريق المعاكس، ينظرون إلى اختـــلاف العبادات، ولا ينظرون إلى ما هو أهم، وهو أن أكثر الأديان تلتقي من خلال عناصر إيمانية مشتركة، كوحدانية الله، والتصديق بالأنبياء، والإيمان بالجنة والنار، كما أن هذه الأديان، التي قـــد يراها البعض مختلفة متعارضة، تزكي عدداً من القيم الإنســـانية الفاضلة يلتزمها أهلها، مثل محبـــة الخير، والعدل، ونبذ الظلم، وتحقيق المســـاواة، واحترام كرامة الإنســـان، وغيرها، وهي قيم راقية، ثابتة في الفطرة الإنسانية، وشأن مشترك بين مختلف الأديان.

وعلى الرغم من أن الأديان في الجانب التعبدي شـــأن خاص بالعبد في علاقته الروحية بربه، فـــإن تعايش أتباع الأديان المختلفة أدى إلى إنتاج مشتركات ثقافية، وأوجد أرضاً خصبة لتكامل العطاء الإنساني، من خلال تبادل المعارف والأفكار والإبداعات والمواهـــب، أصبحت قوية التأثيـــر في حياتهم الجماعية، لأنهـــا تربطهـــم ببعضهم، هذه المشـــتركات الثقافية هي التي تحدد الهويات الوطنية، وتوجه الســـلوك الفردي والجماعـــي، وتطبع الفنـــون والآداب التي تعبر بها الشعوب عن تطلعاتها وأفراحها وأحزانها.

لذلك فقد أصاب الملتقى كبد الحقيقة، حين أوصى بإطلاق "منتدى الديبلوماسية الدينية لبناء الجسور"، من منطلق قوة أثـــر الأديان فـــي المجتمعـــات، وأهمية مبـــادرة أتباعها بواجبهم نحو تجســـير العلاقة بين أتبـــاع مختلف الأديان والثقافات لتعزيز تحالفها.

إن جانبًا كبيـــرًا من عمل الديبلوماســـية يقع تحت عنوان التبادل الثقافـــي، وكثير من الدول تهتم بما تشـــترك فيه مـــن عناصر ثقافيـــة مع الـــدول الأخـــرى، لأن ذلك يجعل الدول أكثر تقاربًا وتوافقًـــا وتكاملًا في المجالات الاقتصادية والسياســـية أيضًا، فالثقافة هي لغة الشـــعوب، تتجاوز الحدود السياســـية، وتتعدى ســـلطة الأنظمـــة ومواقف الحكام. والقيم الإنســـانية المشـــتركة تبعث على الارتياح، والاشتراك فيها يجعلها مقبولة من كل الأطراف، يمتثلون لها، ويضمنونها آدابهم وفنونهـــم، ويتوحدون تحت ظلها، ويتلقون منها المعاني النبيلة التي توحدهم وتؤاخي بينهم. أما إذا كانت هذه القيم منبثقة عن الدين، فإنها تزداد قوة ورسوخًا، بسبب قوة أثر الدين في النفوس.

لا شك في أن البشر يعتنقون أديانًا شتى، لكن المشتركات الثقافيـــة المتولدة عن تعايش أتباع الأديان فيما بينهم، قد تكتســـي صفة العالمية، والإنســـانية، والمرونة، والإيجابية، والشـــمول، والقيمية، والتطور، والواقعية، والاســـتمرارية، وغيرهـــا من الصفـــات الإيجابية التي تمنحهـــا قوة كبرى، وقبولاً من طرف مختلف الناس.

معوقات المشترك الإنساني

جاء في الإعلان أن المتداخلين ناقشـــوا عـــددًا من المعوقات التي تعترض رسالة المشترك الإنساني، مثل الأنانية والمادية والاســـتعلاء التي عدها الإعلان طوفانًا يغرق الإنســـانية في بحر الصراعات، ولا ســـبيل للنجاة منه سوى بترسيخ التضامن والتنافس في الخير والعطاء لإعمار الأرض وإسعاد الناس، وتفعيل قيم المحبة والسماحة والتسامح التي تعمر النفوس المؤمنة والإنسانية الحقة.

كما أشـــار الإعـــلان إلى عائق آخـــر خطير، وهـــو محاولة فـــرض الهيمنة الدينيـــة والسياســـية والاقتصادية "بلا اســـتحقاق ولا أخلاقيات"، الذي تترجمه أطروحات الصدام الحضاري، التي تزوّر الحقائق وتشـــوه القيم الإنسانية، وعده أعضاء الملتقى مظهرًا من مظاهر التطرف والاســـتكبار، وتجســـيدًا للعنصرية المحكومة بعقدة الاستعلاء، التي قد تهـــدد المنظومة الأخلاقية، وتحرض علـــى العنف والإرهاب والانقسام.

ومن معوقات المشترك الإنساني أيضًا، الخلط بين الدين وممارسات المتدينين، وقد توافق المشاركون حول التأكيد على مركزية الدين في الحضارات، وتأثيره القوي في "صياغة أفكار المجتمعات البشرية" و"إلهامه الروحي للمؤمنين به"، ولفت النظر إلى ضرورة التمييز بين الدين وبين الممارسات الخاطئة لبعض أتباعه، التي قد يحسبها الآخرون من الدين نفسه، فمن الظلم للدين والإساءة إليه تحميله تبعات مثل هذه الممارسات.

مثل هذا الأمر يستغله بدهاء بعض المتاجرين بالدين، الذين يوظفونه في التفرقة المجتمعية، ويتعاطون مع الدين من منطلق سياسي نفعي، ويغرقون الناس في حالة من التفرقة وتبادل التكفير ويؤججون الصراعات الطائفية والمذهبية. لذلك أوصى الملتقى بعدم توظيف الدين لأي هدف يخرج عن معناه الروحي الإصلاحي، وما يحمله من قيم خاصة أو عامة أو إنسانية مشتركة.

ولقطع الطريق أمام الأحكام النمطية والتصورات الخاطئة المتعلقة بالأديان أو المذاهب المختلفة، أوصى المشاركون ببذل الجهد لتفهم خصوصيات الأديان والثقافات والتعامل معها بصفتها تمثل التنوع البشري المشمول بحكمة الخالق في الاختلاف، ويظل الحوار المبني على احترام أتباعها هو قناة التواصل السليمة بينها.

مفعلات المشترك الإنساني

مقابل هذه المعوقات، أشار المتداخلون إلى وجود عدد من مفعلات المشترك الإنساني، ولعل أهمها "الإخاء الإنساني الفعال والمثمر" الذي يعد الخيار الأول لسلام ووئام وجودنا البشري، لأنه يحصن الأسرة الإنسانية في مواجهة التحديات، وهذا الإخاء يستند على وحدة الأصل البشري، فهم كلهم إخوة. لأنهم على اختلاف مكوناتهم وانتماءاتهم يرجعون إلى أصل واحد، فهم متساوون في إنسانيتهم، التي تدعوهم إلى إشاعة المحبة والرحمة والتسامح، ومد جسور الحوار من أجل خير الجميع، وهذا المفعل، يرتبط بمفعل آخر، وهو أخلاق وثقافة التعارف، التي ينبغي نشرها لبناء علاقة التعاون بين أمم الأرض ومجتمعاتها وثقافاتها وحضاراتها، وذلك من شأنه أن يزيل فتيل التوتر بين الدول ويقلل من النزاعات والحروب بين الأمم، ويعمل على تنمية آفاق التواصل الحضاري وتعدد أشكال عمارة الأرض، لأن الإخاء الإنساني يخلق تكتلات قوية متينة، قائمة على التعاطف والتضامن والمعاهدات.

إن أهم ما تحتاجه البشرية اليوم، وهو التقارب والتعاون وإطفاء جذوة الصراعات. وقد بينت الأحداث المؤلمة الأخيرة، كيف أن حربًا بين دولتين، خلقت أزمات اقتصادية واجتماعية خطيرة، خرجت عن كل سيطرة، وما زالت تنذر بمخاطر جديدة غير متوقعة، تهدد كل دول العالم.

وإن المشتركات الإنسانية أضحت ضرورة ملحة للإنسانية، لأنها توفر الشروط الداعمة لتفاهم الناس وتعايشهم، بغض النظر عن عقائدهم ومذاهبهم، وتقوي فيهم الرغبة في العيش المشترك المبني على التفاهم والتسامح وقبول التعددية واحترام الحق في الاختلاف، وتبني أسس للتواصل بين الحضارات والثقافات الإنسانية.

خلاصات

لعله يمكن إيجاز أهم خلاصات الإعلان في العناصر التالية:

1 – وحدة البشر وانحدارهم من أصل واحد، ومساواتهم في الإنسانية، هي أساس التعايش والإخاء الإنساني.

2 – التأكيد على أهمية الدين، وقوة تأثيره في صياغة أفكار المجتمعات البشرية، يستدعي حمايته من كل استغلال أو توظيف يسيء إليه أو إلى أتباعه، وعدم الربط بين الدين وسلوك بعض أتباعه.

3. الاختلاف فطرة تكوينية، والتنوع الإنساني حقيقة ثابتة، ما يستوجب قبول التعددية، واحترام الآخر وجودًا وحضارة.

4. مراعاة الاختلاف والتنوع الإنساني، توجب تفهم وتقدير الخصوصيات الدينية لكل عقيدة أو مذهب، في الشرق أو الغرب.

5 – العلاقة بين الشرق والغرب رصيد تاريخي ثمين، أسهم في ازدهار الإنسانية، من خلال الانفتاح على بعض والقناعة بحاجة كل حضارة إلى الأخرى.

6. تخالف الحضارات وتكاملها هو السبيل الأفضل لتخليص عالمنا من مخاطر الصدام والصراعات، والتحيزات الخاطئة.

7 – من واجب منصات التأثير والمنابر الإعلامية، والمؤسسات التربوية، التعريف بالقيم الإنسانية المشتركة، وترسيخ الحوار، ونبذ الصراع، وتشجيع الخطاب المعتدل المتسامح، الذي يعزز التآخي بين البشر، حماية لحقوق الإنسان في الأمن والسلم والاستقرار.

ولا شك في أهمية التوصية بدعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى إقرار يوم عالمي للمشتركات الإنسانية، فهو كفيل بتنسيق الجهود الدولية، ودعم مبادرات المنظمات الأهلية، كما أن إصدار موسوعة القيم الإنسانية المشتركة، فرصة لإشراك المفكرين والباحثين في التعريف بهذه القيم.

رابطة الجامعات الإسلامية تنظم المؤتمر الدولي

«الوعي الديني للشباب في العصر الرقمي»

إعداد: عبد الله حسين

اختتم في جامعة السويس المؤتمر الدولي: (الوعي الديني للشباب في العصر الرقمي)، الذي عقدته رابطة الجامعات الإسلامية، بالتعاون مع كلية الإعلام وتكنولوجيا الاتصال في جامعة السويس، تحت رعاية وزير التعليم العالي والدولة للبحث العلمي المصري الدكتور أيمن عاشور، وحضور رئيس الجامعة الدكتور السيد عبدالعظيم الشرقاوي، والأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية الدكتور أسامة العبد، ومشاركة وزير الأوقاف المصري الدكتور مختار جمعة، والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية الدكتور نظير محمد عياد، وأمين الفتوى ومدير التدريب بدار الإفتاء الدكتور عمرو الورداني، وكاهن كنيسة ماري جرجس بالقاهرة وعضو الأمانة العامة لبيت العائلة، القس أرميا مكرم، وعدد من أساتذة وعمداء كليات الإعلام والباحثين المهتمين بالشأن الإعلامي.

توصيات المؤتمر

وبعد مناقشة البحوث وأوراق العمل التي شملت مجالات الإعلام الرقمي ودوره في بناء الوعي الديني الرشيد، في إطار تنمية الوعي لدى الشباب ومواجهة جهود التشكيك والدعوات للإلحاد واللادينية، وفي ختام المؤتمر دعا المشاركون الجامعات للإسهام في وضع استراتيجية فاعلة للاتصال الديني في العصر الرقمي، من خلال تأهيل العاملين بالمؤسسات الدينية الأهلية والخاصة، والعمل على تكامل الجهود الرسمية والشعبية ومؤسسات المجتمع المدني في نشر ثقافة التسامح بين أفراد المجتمع وبصفة خاصة الشباب.

وطالبوا بوضع خطط تنفيذية تتكامل فيها جهود العاملين بالمؤسسات الدينية الأهلية والحكومية للارتقاء بالاتصال الديني في العصر الرقمي، ودعم الجهود الاتصالية للإعلام الديني الرقمي والتفاعل مع خطاب ديني رشيد ينبذ الإلحاد والتعصب من خلال تحديث البرامج التدريبية لمواجهة الجرائم الالكترونية فكريًا وقانونيًا، مع تحديث برامج التدريب في المؤسسات الدينية المصرية والعربية، وتحديث مفاهيم الأمن الإلكتروني وفق أحدث الأنظمة العالمية.

د. العبد: التوعية مهمة للشباب ليرتقوا في تخطيطهم للمستقبل

د. جمعة: نحن في حاجة إلى التوازن بين التواصل المباشر والتواصل الرقمي

وشدَّدوا على ضرورة مواجهة التأثيرات السلبية للمنصات الرقمية التي باتت جاذبة للشباب ومعطِّلَة للجهود الإصلاحية الداعمة لبناء وعي ديني يحمي الشباب من التطرف، والعمل على الاتفاق حول مفهوم دولي دقيق موحّد لمصطلح الإرهاب عامة والإرهاب الإلكتروني خاصة، وذلك لتوحيد المفاهيم وضبط معايير وأساليب المواجهة.

وأكدوا على أنه من الضروري الرهان على دور وسائل الإعلام في بلورة استراتيجية لمواجهة التطرف والمتطرفين من شتى الأديان والملل والنحل، وتحديث التشريعات المنوط بها مواجهة جرائم النشر الإلكتروني وتغليظ العقوبات لمنع الفوضى الضاربة في وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات الرقمية، والتأكيد على أهمية العمل الإعلامي في العصر الرقمي لكي يحقق الوعي بكل مستوياته وخاصة لدى الشباب، وأن يقوم على العلم ولا يترك العمل فيه للهواة أو غير المتخصصين، مشيرين إلى أن العصر الرقمي يفرض تحديات إعلامية واتصالية ودينية يجب أن تواجه بوسائل وأساليب هذا العصر وليس بوسائل وأساليب عصر سابق، وأفكار ووجوه قديمة تجاوزها الزمن، لافتين إلى أن صناعة الوعي في جانبه الديني تحتاج إلى التحلّي بالشجاعة لطرح تساؤلات ورؤى جديدة حول تراث الأمة الديني على مستويات عدّة، لعلّ أهمها: تجديد الفكر الديني، تجديد علوم الدين، تجديد المؤسسات الدينية.

غرس القيم

وفي كلمته الافتتاحية للمؤتمر وصف الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية الدكتور أسامة العبد الوعي بأنه لغة الفهم والحفظ والإدراك، وهو أيضاً يعني الحكمة ورفع المستوى الفكري وعدم الانقياد الأعمى، والشخص الواعي هو الكيس الفطن الذي يحمي فكره من التدمير والانحراف والتطرف؛ لأنه ذو شخصية سوية، والوعي الفكري يشكل أهمية قصوى ذات آثار إيجابية في بناء المجتمعات وتطورها، والإنسان الواعي يستطيع خدمة مجتمعه بكل اتزان عقلاني دون خروج عن آداب اللباقة أو اللياقة، ويكون ماهرًا في التخطيط وعدم التخبط، فالوعي أساس الشخصية القوية الذي يمنحنا القدرة على القيادة وتحقيق الأهداف المرجوة، كذلك يمنحنا القدرة على اتخاذ القرار المناسب

والسليم والحكم الصحيح على الأشياء، والوعي المتقدم يجعل الإنسان راقياً وهادئاً وقادراً على التركيز على الإيجابيات ومنع السلبيات، كما يجعله قادراً على احتواء الآخر حتى لو اتصف بالسلبية، وكل ذلك يؤدي إلى السعادة وراحة البال، فعلى الإنسان أن يطوِّر وعيه وأن يزكي نفسه بمراقبة فكره وقيمه ومشاعره ليكون إيجابياً، هذه الإيجابية التي تتحقق في الفكر والقيم، فالإيجابي يرى لكل مشكلة حلاً، والسلبي يرى في كل حل مشكلة؛ لأن الإنسان الواعي يحسن التقدير ويمتلك ميزاناً دقيقاً في فهم الواقع والتاريخ والأحداث، وقد حرك القرآن الكريم العقول واستحثها على مزيد من التدبّر وإعمال الفكر، قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ سورة الذاريات: 21، وقوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ سورة الأنعام: من الآية 11، وأيضا: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى* وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى* إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ سورة الليل: 1 – 4، وكذلك: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ سورة الزمر: 21، والآيات في ذلك كثيرة.

وأكد د. العبد، أن التوعية مهمة للشباب ليرتقوا في تخطيطهم للمستقبل، ويمنحهم الشعور بالمسؤولية الوطنية، فهم ركيزة المستقبل، وعليهم تتقدّم البلاد

القس مكرم: حروب العصر التي تمس المجتمعات لم تعد القنبلة الذرية بل الإلكترونية

د. الشرقاوي: تحصين الطلاب ضد مخاطر التكنولوجيا بالتسامح والابتكار

وتزدهر، فلا تتقدم الدول دون وعي ويقظة وتخطيط سليم، ففي كتاب الله ما يؤكد ذلك على لسان سيدنا يوسف -عليه السلام-، حيث قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ سورة يوسف: 55، والحاكم المخلص المحب لوطنه ينادي بالوعي الصحيح داخل مجتمعه.

وأشار الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية إلى أن قضية الوعي الديني لدى الشباب تفرض علينا، أن نعمل على تأكيد هويتنا العربية والإسلامية في نفوسهم من خلال مؤسساتنا التربوية والتعليمية المختلفة؛ وذلك بغرس قيمنا الإسلامية في مختلف المواد التعليمية،

وبالتحديد مادة التربية الإسلامية، والعمل على إزالة التناقضات بين المناهج المختلفة، مما يؤدي إلى وحدة الغاية، وأؤكد على أهمية استخدام لغتنا العربية لدى الشباب وأهمية التركيز عليها؛ لأنها أصل في الوعي الديني للشباب خاصة في العصر الرقمي، حيث تحفظ عليهم هويتهم العربية وسلوكهم القويم، ولا بد أن نزرع في نفوس ووعي أبنائنا الشباب في هذا العصر، أن عقيدتنا وقيمنا لم يعترها أي تغيير، وأن يدركوا أن أعداء الإسلام لا سبيل لهم علينا؛ إلا عن طريق التأثير على الشباب بالتشكيك في العقيدة حينا وفي الرسالة أحيانا، وبإثارة الشُّبه والمطاعن حول شريعة الله التي ارتضاها سبحانه لعباده، وبإثارة الفتن والنعرات المختلفة، والسعي إلى إيقاع الفرقة بين الشباب ومجتمعاتهم، حيث إن ذلك هو السبيل الأيسر والخفي لهم للسيطرة على هؤلاء الشباب والعبث بعقولهم، فلا بد من التحصّن بالوعي السليم والحكمة البالغة والفهم الصحيح، استرشادا بالقيادة التعليمية والتربوية المخلصة لدينها ووطنها.

الساحة الرقمية

وفي كلمته التي ألقاها (عن بعد)، أكد معالي وزير الأوقاف المصري الدكتور محمد مختار جمعة أننا في حاجة ماسة إلى الاستخدام الأمثل للساحة الرقمية، وعلينا أن نعظم إيجابيات استخدامها، وأن نحدَّ من ضررها ومخاطرها وبخاصة على الشباب، وأننا في حاجة ماسة إلى التوازن بين التواصل المباشر والتواصل الرقمي، فليس أحدهما بديلًا عن الآخر، مشيرًا إلى أن الساحة الرقمية تمثّل مجالًا واسعًا جدًّا للتثقيف، لكن اللقاءات المباشرة وسيلة أنجع في التربية والسلوك.

وأضاف معاليه: إننا نؤمن بتعدد الوسائل ودعم بعضها بعضًا، وأهمية محو الأمية الرقمية، مؤكدًا أن العالم الرقمي ليس شرًّا كله وليس خيرًا كله، وعلينا أن نعظم الجوانب الإيجابية، وأن نحدَّ من مخاطر الجوانب السلبية للعالم الرقمي، مع التأكيد على الالتزام بميثاق الشرف الإعلامي فيما يخص الإعلام الرقمي كضمانة ذاتية لإيجابيته، وهذا ما دعانا لتنظيم العديد من الدورات للأئمة والواعظات حول أخلاقيات التعامل مع العالم الرقمي.

تحصين الشباب

من جهته حذر رئيس جامعة السويس الدكتور السيد عبد العظيم الشرقاوي من تعرض العالم العربي والإسلامي عامة إلى مخططات حروب الجيل الرابع، وعلى رأسها حرب الشائعات، وما يفرض علينا كمسؤولين بناء وصناعة حائط صد قوي ضد مخاطر مواقع التواصل الاجتماعي، حتى ننجح في إيجاد وسيلة لمنع القصف الهوائي القادم من كل اتجاه، والإعلام يمثل هذا الحائط المنيع، وهذا ما يمثل اهتمام الدولة المصرية الحديثة به، حماية لشبابها.

وطالب الدكتور الشرقاوي، بتحصين الطلاب ضد مخاطر التكنولوجيا ومحو الأمية الرقمية، ونشر ثقافة التسامح والابتكار، والاستخدام الإيجابي للتكنولوجيا، وتنمية وتعميق الوعي والانتماء من خلال ممارسة الأنشطة المختلفة، واللقاءات الحوارية المباشرة، ومناقشة القضايا الوطنية.

التوعية الدينية

من جانبه وصف الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية الدكتور نظير محمد عياد، خلال كلمته التي ألقاها افتراضيًا، بأن عصرنا الذي نعيشه يشهد تغيُّرات هائلة في العلم والثقافة والاجتماع والأدب، وكثير من هذه التغيّرات كانت في الغالب انعكاسًا للعولمة التي جعلت من العالم قريةً إلكترونيّةً صغيرةً تترابط أجزاؤها عن طريق الأقمار الصناعيّة والاتصالات الفضائيّة والقنوات التلفزيونيّة، وقد ظهرت تلك التطوّرات الهائلة في مجال تكنولوجيا التواصل والاتصال، وصار الفضاء الإلكترونيّ الجديد هو الأرض الخصبة؛ لنشر الأفكار والآراء والمعتقدات والفلسفات، التي اقتحمت على الناس بيوتهم من خلال الهواتف الذكيّة وما تشتمل عليه من تطبيقات وبرامج، موضحاً أن التكنولوجيا الرقميّة تدخلت في كلّ تفاصيل الحياة الماديّة والعلميّة والإداريّة وغيرها، وتأتي التوعية الدينيّة جزءًا من هذه الحياة؛ لأنّها تتعلق بتفاصيل حياة المسلم مع دينه وأسرته ومجتمعه، وأنّ الاستخدام غير المنضبط لهذه التكنولوجيا يعوق التنمية، ويحول بين الإنسان وبين النهضة والعمران.

الوعي الإنساني

من جهته وصف القس أرميا مكرم، عصر الرقمنة بأنه نقلة مهمة في تاريخ البشرية، وله تحديات وأبعاد متعددة، وهنا يأتي دور الوعي الإنساني الذي يثمر ويفرق بين الصالح والطالح في عالم مفتوح، محذراً من أن حروب العصر التي تمس الأديان والمجتمعات لم تعد القنبلة الذرية بل الإلكترونية.

تعقيب

أجيال المهجر ومؤسسات التنشئة الإسلامية

بقلم: أ. د. حسن عبد الرازق النقر
أستاذ سابق بمعهد الفكر الإسلامي ـ كوالالمبور

تناولت مجلة الرابطة الغراء في عددها ذي الرقم (675) مقالاً للشيخ هاني مستو من بلجيكا بعنوان: تربية الأولاد في المهجر. وقد استعرض فيه الكاتب -جزاه الله خيرًا- أهم التحديات التي تواجه الأسرة المسلمة في تربية وتنشئة أبنائها في بيئة غير مسلمة.

احتوى المقال مقترحًا مهمًّا يتعلق بدور مؤسسات التنشئة الإسلامية التي تعين الأسرة المسلمة، وعلى رأسها البيت، والمسجد أو الجامع، ثم المراكز الإسلامية التي تشتمل على مناشط اجتماعية متكاملة، مثل: المكتبة ومكاتب التحفيظ ومحاضن الطفل، إضافة إلى المدرسة الإسلامية المعنية بتدريس مناهج ومقررات

باللغة العربية.

وشكر الكاتب المجتمعات الأوروبية التي رخصت ببناء هذه المنشآت الهامة التي تعتبر حلقة وصل بين المسلمين القادمين من بلاد شتى وبين هذه المجتمعات الأوروبية التي احتضنتهم وقدمت لهم كل سبل العيش الكريم من المساواة في جميع الحقوق من الجنسية والعمل والتعلم والتأمين الصحي والتملك وغير ذلك من الحقوق التي يتساوى بها الجميع في مجتمع أوروبي واحد.

وتناول كاتب المقال الشيخ مستو دور الجالية المسلمة في تعزيز وتأكيد البعد التربوي لدى أبنائها، من خلال هذه المؤسسات في تعزيز الروابط الاجتماعية بين الأسر المسلمة عن طريق الزيارات المنظمة خاصة في المناسبات الدينية (رمضان- العيد- المواسم) والتجمعات الثقافية (الرحلات -المخيمات- الملتقيات الثقافية)، إضافة إلى الأنشطة الترويحية والرياضية المتعددة والأنشطة التي تعبر عن اندماج المسلمين في المجتمعات التي هاجروا إليها اندماجًا إيجابيًا يخدم مصالح كلا الطرفين في صون الأسرة المسلمة وصون المجتمع الأوروبي الذي هاجرت إليه.

وهذا موضوع جدير بالاهتمام، لأن مناقشته تثري تفكير أرباب الأسر المهاجرة ومديري مؤسسات التنشئة وتمنحهم الخبرة المناسبة.

وفي تناول الموضوع إغناءٌ للبحث التربوي والتعليمي سعيًا إلى الحلول الإيجابية للمشكلات التي تواجه الأسر المسلمة، وتواجه أيضاً مؤسسات التنشئة والتربية.

لا شك أن هناك جوانب إيجابية كثيرة في نشأة الأبناء في بلاد الاغتراب، كأن تتهيأ لهم فرص التعليم الجيد والتدريب وبناء الأجسام وإتقان لغة البلد.

والأخذ بطرف من ثقافة المجتمع الإيجابية، ولا سيما أخلاقيات احترام العمل والتزام المواعيد ونحو ذلك.

ومع كل تلك الإيجابيات فإن الأسر المهاجرة والمغتربة يواجهها إحساس بوجود شيء ناقص، فتحاول سد الفراغ الذي تشعر به.

ذلك النقص والفراغ قد يكون ناجًا عما يسميه بعض الباحثين بانسراب الهوية، وفقدان الشخصية الإسلامية، ويحصل ذلك في حال الاندماج الكامل في المجتمع الجديد، ومن ثم فقدان الكينونة الذاتية.

وهذا هو الوضع الذي تعرض له المهاجرون الأوائل إلى أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية بشكل كامل، حيث إنهم كانوا أقلية ذابت في المجتمع، وتعرضوا لأحوال أدت إلى تخلي الجيل الثاني والثالث منهم عن دينهم، ولم يكن لهذا الجيل مؤسسات يعتمدون عليها في تنشئة الأجيال الجديدة. وبحمد الله فإن الواقع مختلف اليوم نوعًا ما، فأبناؤنا ينشؤون مرتبطين بمؤسسة المسجد، يؤدون الشعائر الدينية، ولديهم مؤسسات تعليمية تساعدهم في حفظ القرآن الكريم، ويحضرون دروس الدين واللغة العربية. وفي بعض المدن الأمريكية يجد الأبناء المناخ الملائم في المراكز الإسلامية، التي ليست فقط مكانًا لإقامة الشعائر الدينية، بل هي مكان للدعوة الدينية واللقاءات الأسرية وتزجية أوقات الفراغ، وفيها مناشط رياضية وثقافية واجتماعية.

والمجتمع في أغلب بلاد الهجرة يحفظ للأقليات حقها في ممارسة دينها وثقافتها من خلال المؤسسات بتسامح واعتراف بالتعددية. ولقد رأيت في بعض الولايات بأمريكا حرص السلطات على مساعدة الجاليات في شؤونهم الاجتماعية والثقافية وغيرها، فتقيم مثلاً مجمعات لوسائل الإعلام من راديو وتلفزيون دون مقابل، حتى تتمكن الجاليات من تحقيق التواصل وإيصال برامجهم بلغاتهم الوطنية.

لكنك تجد آباء يشتكون إليك أنهم لا يلمسون في أبنائهم هويتهم الإسلامية والوطنية التي يعرفونها... تظل شخصيتهم مختلفة، مهما اجتهدنا معهم. الإنسان ابن بيئته، هم أجيال المهجر، تظهر فيهم ثقافة وطنهم الجديد؛ في لسانهم وطريقة تفكيرهم ونظرتهم للحياة.

والمؤسسات الإسلامية من شأنها أن تتعامل مع الظواهر الاجتماعية السلبية بتخطيط ورؤية علمية، وهذا ما حرصنا عليه عند إقامتنا مدة تسع سنوات في الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة. ففي جنوب شيكاغو أقيمت مدارس الأقصى للبنين منفصلة عن

مدارس البنات، وكلها تدرس المنهج الأمريكي بالإضافة إلى المواد الإسلامية واللغة العربية.

وهناك المدرسة العالمية (يونيفيرسال سكول) التي تميزت بتدريس اللغات القومية ولغات الشعوب الإسلامية مثل العربية والأوردو واللغة التركية.

وهناك مدارس عطلة نهاية الأسبوع. واشتهرت مدارس أنشأتها المملكة العربية السعودية وأتاحت تدريس منهج سعودي. وقد ثبت أنه بقليل من الجهد في هذه المدارس، يمكن غرس اللغة القومية.

ولا سيما أن الطفل لديه قابلية لتعلم أكثر من لغة في وقت واحد.ولعل أهم مؤسسات التنشئة أثرًا في ذلك البيت. فعلى الأبوين الحرص على ممارسة اللغة القومية داخل البيت، فهذا مهم جدًا.

ولا بد من حرص الآباء والأمهات على قضاء وقت مع الأبناء وخاصة في العطلة الأسبوعية التي تبدأ من عصر يوم الجمعة إلى يوم الأحد. وربما لا يجد الأبوان لانشغالهما بالعمل أن يوفرا ذلك الوقت المطلوب لأطفالهما، وهذا نقص لا بد من استكماله عبر مؤسسات التنشئة الأخرى.

وإذا كان المسلمون في بيئاتهم الأصلية يحظون بدعم الدولة في بناء المدارس والمساجد وإقامة المساجد ودور العبادة وتخصص لها الميزانيات، فإن المسلمين في مهاجرهم يعتمدون بعد الله على جهدهم الذاتي لإقامة مؤسسات التنشئة الاجتماعية لأبناء المسلمين، ففي المهجر لا توجد وزارات أوقاف تشرف على المساجد وتعين لها الأئمة، ويجد المجتمع المسلم في المهجر أن عليه أن يعتمد على أعضاء الجالية وما يخصصونه من مالهم ووقتهم وعملهم حتى تتمكن الجالية المسلمة في المهجر من الاضطلاع بالدور الذي كانت تتحمله الجهات الرسمية في البلاد الإسلامية.

ولأن غالب الأسر حديثة النشأة في المهجر فهي لا تتمتع بوجود أفراد الأسرة من ذوي الخبرة الاجتماعية من كبار السن، فيكون إمام المسجد هو المرشد المؤتمن والقدوة للشباب وللأطفال.وكان المبتعثون من الطلاب القادمين من الدول الإسلامية يؤدون مسؤولية الإمامة والإرشاد الديني والتعليم، بل تصدوا في بعض الأوقات لعقد الأنكحة، وتقديم الاستشارة الاجتماعية في الشؤون الأسرية. وقد يكون بعض الأئمة القادمين من بلادهم قليلي التجربة في أداء الدور الاجتماعي، وخاصة في أوقات عصيبة تمر بها العائلات في حالات جنوح الشباب أو في حالات الموت، بل إن غالب الأئمة قد يفتقدون المعرفة بمشاكل الشباب في المهجر.

وقلة الخبرة وعدم التدريب الكافي يجعل بعض الأطفال والشباب المسلم يستنكفون عن الذهاب إلى مدارس نهاية الأسبوع في المسجد مع أنهم يتحمسون في الذهاب للمدارس الأخرى، حيث التعليم فيه حوافز كثيرة مثل الرياضة والمناشط الطلابية الجاذبة، وتقديم الطعام، مع المعاملة الحسنة، والمنهج الذي يرغِّب الدارس على الحوار والمناقشة.

أما مدارس المساجد فقد يتعلم الأطفال والشباب على يد معلم ينقصه التدريب الكافي، ويتلقى كتبًا ومناهج ربما لا تناسب عقليتهم في البيئة الغربية. وهناك توجه حميد لبعض المجتمعات المسلمة أن حرصت على تأهيل مراكزهم الإسلامية بعوامل جذب للأطفال والشباب.

وهذه نقطة جديرة بالانتباه، هي أن أجيال المهجر حين نحسن تربيتها وتعليمها؛ ونزودها بالقيم الإسلامية، فإنها تنشأ وهي تجمع بين الحسنيين: قيم الدين الإسلامي و(قيم المؤسسية الغربية)، وبذلك يتحقق النجاح المطلوب لمؤسسات التنشئة الاجتماعية في المهاجر. علمًا بأن مدارس التعليم العام في كثير من بلدان الغرب -كما لاحظ ذلك الدكتور محمد وقيع الله أحمد- لا تقوم بمناهجها وزارات وحكومات، بل تعهد إلى دور نشر تجارية تتنافس في إنجاز أفضل المناهج. وقد قدم الدكتور وقيع الله في كتابه الإسلام في المناهج الغربية مسحًا لمفردات المناهج، وقارن بينها من بلد لآخر، ومن مستوى دراسي لآخر. يقول: حرصت دور النشر التي صاغت المناهج الخاصة بالموضوعات الإسلامية على استشارة خبراء مسلمين، بل استشارت في بعض الأحيان الآباء والطلاب المسلمين أنفسهم، وقبلت بعض الاقتراحات المقدمة لهم بالحذف والإضافة، في سياق معالجة الموضوعات الإسلامية.

مقابر المسلمين في أوروبا

بقلم: الشيخ هاني مستو
رئيس مؤسسة أئمة المجتمع البلجيكي ـ بلجيكا

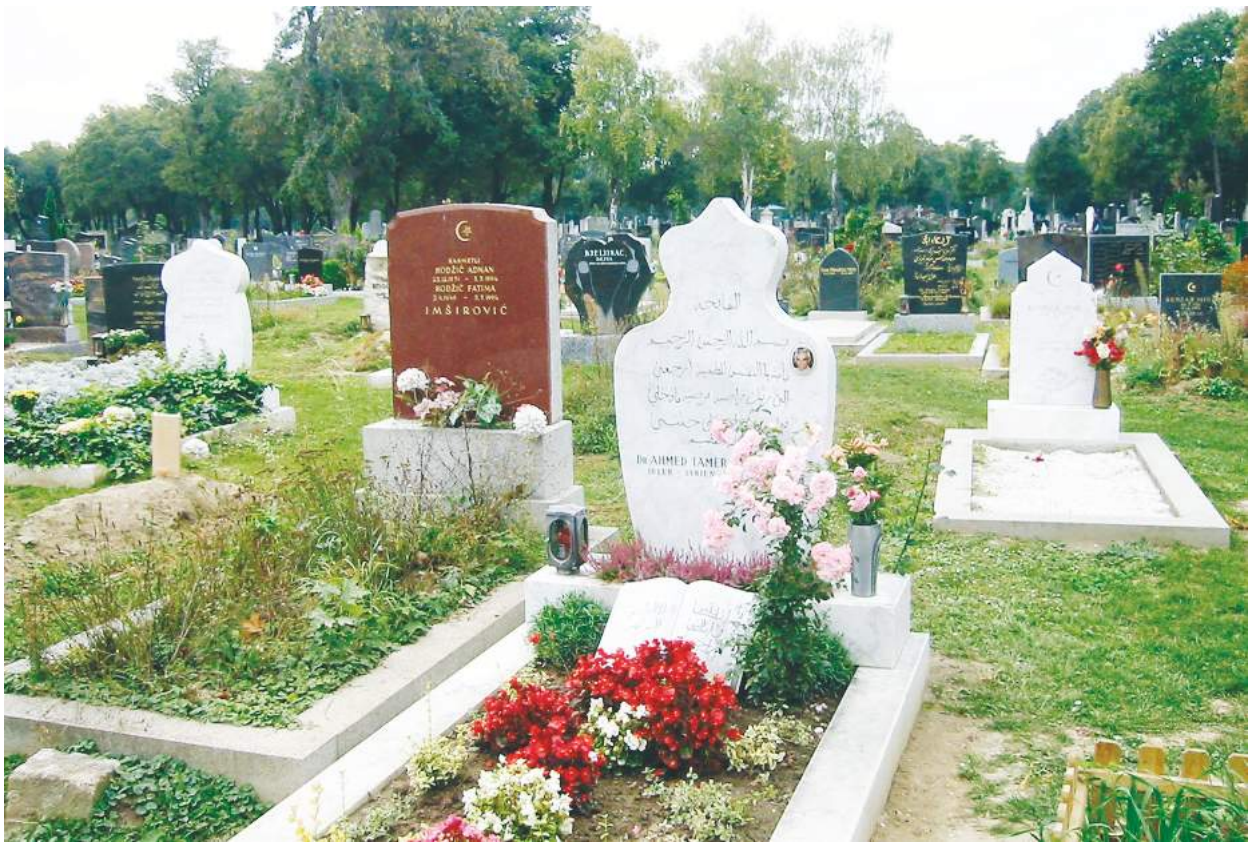

تعقيبًا على ما تفضّل به الدكتور التجاني بولعوالي في مقاله القيم عن الدفن الأبدي في بعض الدول الأوروبية، أورد هذه المعلومات المهمة عن مقابر المسلمين في أوروبا، وهي من الموضوعات التي تجد اهتمامًا كبيرًا من المسلمين في هذه البلاد.

من الناحية التاريخية تعد مقبرة مدينة نيمس الفرنسية أقدم المقابر الإسلامية في أوروبا، وترجع إلى فترة تتراوح ما بين القرنين السابع والتاسع كما يشير أرشيف مونت كارلو، حيث عثر خبراء آثار على ثلاثة مدافن مسلمة في تلك المدينة، مما يدل على وجود جماعات مسلمة في جنوب فرنسا في مطلع القرون الوسطى.

وتفيد تحاليل للحمض النووي، مستخرجة من أسنان وعظام الموتى، بأن هذا الرفات عائد إلى أشخاص من أصول شمال إفريقية، يتراوح سن أحدهم بين 20 و29 عاما، والثاني في الثلاثينيات من عمره، أما الثالث فيفوق عمره خمسين عاماً. ولم يكن هناك أي أثر لجروح.

وهنالك أيضًا مقبرة الأزدي في غرناطة، إقليم الأندلس، إسبانيا، وقد سميت المقبرة باسم الأديب والفقيه الأندلسي سهل بن مالك الأزدي، المتوفى سنة 639 هـ/1241م، لكنها ربما عُرفت أيضا باسم مقبرة "ابن سهل بن مالك".

وظهرت مقابر إسلامية أخرى أيضا أثناء عمليات حفر في مقاطعة ثراغوسه/ سرقسطة بالشمال الشرقي الإسباني، حيث كانت "سراغوثة" أبعد طرف أندلسي في الشمال عن الجنوب زمن الحكم الإسلامي لثلثي إسبانيا تقريبا.

وتحتضن العاصمة الفنلندية هلسنكي أيضاً أقدم مقبرة للمسلمين في إسكندنافيا في التاريخ المعاصر، أنشئت قبل 148 عاماً، ودُفن بها المسلمون التتار الأتراك.

وفي نهايات القرن التاسع عشر، سافر عدد من مسلمي التتار من منطقة "نيجني نوفغورود" جنوبي قازان عاصمة تتارستان (تقع حاليا ضمن روسيا الاتحادية)، إلى فنلندا لممارسة التجارة، وأنشئت أول مقبرة للمسلمين في منطقة إسكندنافيا عام 1870.

وجرى تأسيس أول حيز للمسلمين عام 1932 في مقبرة عامة في هولندا، وقد خصص في تلك المرحلة لمسلمي إندونيسيا الذين كانوا تابعين للمملكة الهولندية، وكان منهم من يزور أو يدرس في هولندا، كما استقرت آنذاك مئات الأسر من إندونيسيا الهولندية في العاصمة لاهاي ونواحيها. ومنذ عام 1932 تم الترخيص لمقبرة خاصة بالمسلمين. وقد تُوج ذلك بتوفير قطعة أرضية من المقبرة العامة Kerkhoflaan من قبل بلدية لاهاي لتأسيس مقبرة إسلامية عليها ابتداءً من ديسمبر 1932، حيث دفن أول شخص يوم 10 مارس 1933.

ويتم التمييز في هولندا بين صنفين من المقابر، أحدهما مقابر البلدية، حيث تقضي المادة 33 من قانون الدفن بأن تملك كل بلدية أو مجموعة من البلديات على الأقل مقبرة واحدة. والصنف الثاني هو المقابر الخاصة، كما تنص المادة 37 من قانون الدفن، وهي مقابر تؤسسها المجموعات الدينية والشركات والمؤسسات والجمعيات، كالمقابر الكاثوليكية والبروتستانتية والإسلامية واليهودية والطبيعية وغيرها.

تستطيع هولندا أن توفر إمكانية تأسيس مقابر عامة وأخرى خاصة، ولا يمكن استيعاب هذه الوضعية الراهنة إلا بالعودة إلى جذورها التاريخية، إذ إنه أصبح إلزاميا على البلديات فتح مقابر عامة منذ عام 1827. تقتضي المادة 13 من قانون المقابر الأول الذي ظهر عام 1869 بأن تقوم كل بلدية بتأسيس مقبرة عامة مفتوحة لجميع شرائح المجتمع بغض النظر عن خلفياتهم الدينية والاعتقادية. وقد ظهر هذا القانون نتيجة لدستور 1848 الذي يقضي بفصل الكنيسة عن الدولة، ويعتبر هذا القانون ذا أهمية بالغة للمجموعات الدينية في هولندا الكاثوليكية والبروتستانتية واليهودية والمسلمين على حد سواء.

أما في بلجيكا، فالوضعية جد مختلفة، حيث يوجد حسب الفصل الثاني من المادة الرابعة من قانون المقابر نوع واحد فقط، وهو المقابر العامة التي تؤسسها وتشرف عليها البلديات، التي يمكن لها تخصيص مربعات أو أجزاء في المقبرة العامة لكل مجموعة دينية أو غير دينية وفق طقوسها وقوانينها الداخلية.

ولعل الوضعية التاريخية لتأسيس المقابر في بلجيكا تختلف في أكثر من جانب عن الحالة الهولندية، إذ يرجع أهم تطور في مسألة المقابر في بلجيكا إلى القرن التاسع عشر، وبالتحديد إلى مرسوم نابليون الإمبراطوري الذي صدر في 12 يونيو 1804، ويقضي بأنه إلى جانب المقابر الكاثوليكية يحق للبلديات قانونيا تأسيس المقابر والإشراف عليها.

أما في ألمانيا فقد سمح عام 2014 ببناء أول مقبرة إسلامية خاصة على أراضيها، بعد الشروع في إصدار قانون جديد لشؤون الدفن في ولاية شمال الراين – ويستفاليا في مدينة فوبرتال، حيث توجد المقبرة الإسلامية الأولى في ألمانيا، مجاورة لمقابر يهودية ومسيحية.

في هولندا تقر المادة 28 من القانون المنظم للدفن أنه لا يمكن إثبات الحق الحصري في القبر إلا كتابيا، ويجوز منح هذا الحق إلى أجل غير مسمى أو لفترة ثابتة لا تقل عن عشر سنوات، ثم إنه يتم تمديد هذا الحق الممنوح لفترة محددة، شريطة أن يتم طلب ذلك في غضون عامين قبل مرور العشرية الأولى من الدفن، على أن يقرر صاحب المقبرة فترة التمديد التي لا تقل عن خمس سنوات ولا تتجاوز عشرين سنة. وتجدر الإشارة إلى أن الحق الحصري

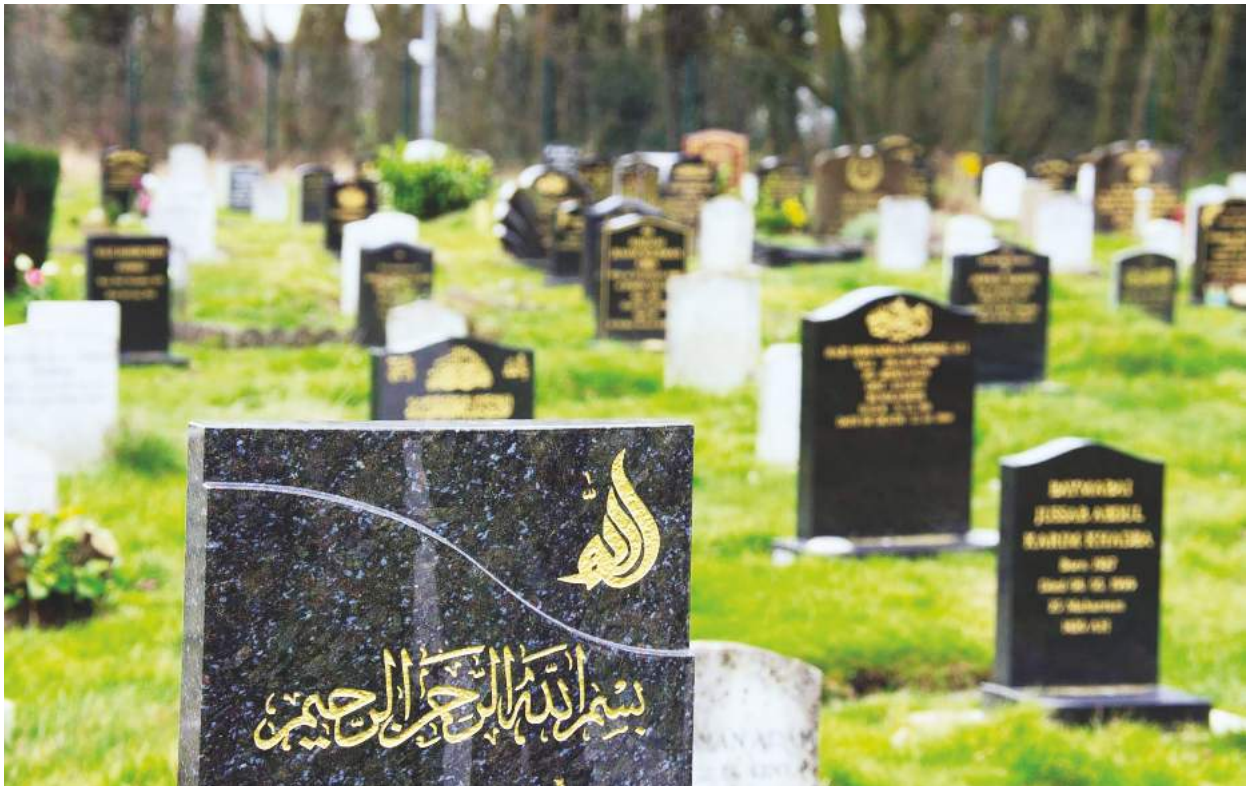

للقبر لا يعتبر ملكية مسجلة.

وفي حالة الإهمال الواضح لصيانة القبر، يمكن لصاحب المقبرة أن يسجل هذا الإهمال في بيان مكتوب يرسله إلى صاحب الحق. وإذا لم يستجب المسؤول عن القبر لهذا الطلب يحق لصاحب القبر تعليق بيان بذلك في مدخل المقبرة وعلى القبر، وبمجرد انقضاء مدة 10 سنوات من الدفن يسقط الحق في القبر.

وهذا يعني أن القانون الهولندي لا يمنح إمكانية شراء القبر وتملكه إلى الأبد، لكن هناك بعض الحلول المطروحة في هولندا التي تسمح باقتناء قبر أبدي، كما هو الشأن بالنسبة إلى إحدى المؤسسات التي تمتلك بضعة آلاف من القبور الأبدية داخل هولندا وخارجها. ولا يمكن ضمان استمرارية الدفن الأبدي إلا عبر الدفع المسبق من طرف الميت (في حياته) للمؤسسة التي تقوم بعمل الصيانة والنظافة. ويغطي الدفع المدة التي يرغب فيها المشترك، بدءا من عشرين أو ثلاثين سنة إلى مائة أو حتى 300 سنة. وبهذه الطريقة يمكن للإنسان الحفاظ على الحق في القبر، علاوة على ذلك، فإن القانون الهولندي يتضمن إمكانية شراء مقابر إسلامية خاصة وتملكها إلى الأبد.

وقد استثمر المسلمون في هولندا هذا المعطى القانوني، فقاموا باقتناء مقابر إسلامية في الماضي كما هو الحال لمقبرة أليرا التي تم تأسيسها عام 2007، وتعتبر تاريخيا أول مقبرة إسلامية مستقلة على المستوى الهولندي، ثم المقبرة الإسلامية بأمستردام التي تم شراؤها عام 2012. كما أن أزمة كورونا أجبرت الشريحة المسلمة في هولندا على تأسيس مقبرة إسلامية جديدة تضمن السكينة الأبدية، وهي مقبرة Zuidlaren في نواحي مدينة خرونينغن، التي تم فتحها من قبل مؤسسة BIBIN في أبريل 2020، وتعتبر الأكبر على صعيد أوروبا الغربية.

في مقابل ذلك، يناهز العدد الإجمالي للمقابر في بلجيكا 2200 مقبرة. ويمنح القانون البلجيكي الحق في الدفن لفترة معينة من الزمن، على أن يتقدم المعني بالأمر بطلب امتياز لدى البلدية التي تحدد مدة 50 سنة كحد أقصى لتملك القبر قابلة للتجديد، كما تنص المادة السابعة من الفصل الثاني من قانون المقابر.

وفيما يتعلق بأحكام الشرع المقررة بالمسلم، مثل تغسيله وتكفينه والصلاة عليه، ودفنه في مقابر المسلمين. فإن للمسلمين طريقة في الدفن واتخاذ المقابر، من حيث

البساطة والاتجاه إلى القبلة. ومن المعروف أن أهل كل دين، لهم مقابرهم الخاصة بهم، فاليهود لهم مقابرهم، والنصارى لهم مقابرهم، والوثنيون لهم مقابرهم، فلا عجب أن يكون للمسلمين مقابرهم أيضاً. فإذا لم يستطع المسلمون الحصول على مقبرة خاصة مستقلة، فلا حرج من أن يكون للمسلمين رقعة خاصة في طرف من أطراف مقبرة غير المسلمين من النصارى الكاثوليك والبروتستانت، يدفنون فيها موتاهم.

وبناء عليه فقد عقدت المجالس الفقهية في أوروبا وكتبت التوصيات من هذه المجالس الفقهية الأوروبية على ضرورة الحصول على تراخيص لمقابر إسلامية خاصة في البلدان الأوروبية من منطلق فقهي صريح، مستندة في توصياتها وفتاواها على ما جاء في كتب الفقه الإسلامي.

قال المناوي في فيض القدير: "لا يدفن مسلم في مقبرة غير المسلمين، فإن لم يستطيعوا شراء أرض لدفن موتاهم -كأن يكون بسبب القوانين التي تختلف من بلد إلى بلد أوروبي- فعليهم نقل الجنائز إن أمكن إلى بلد مجاور".

وهذا كان دأب الجاليات المسلمة في سبعينيات وستينيات القرن الماضي، ولكن بدافع التزاوج بين أبناء هذه الجاليات مع سكان البلدان الأوروبية الأصليين، وحصولهم على جنسيات هذه البلاد وشعورهم بالانتماء لها أحياءً وأمواتاً، وبدافع دخول الكثير من سكان تلك البلاد في دين الإسلام أيضا، فقد تعذر على الكثير من المسلمين نقل ذويهم إلى بلاد أخرى، ولا سيما أنهم هم أهل هذه البلاد، فكان لا بد للمسلمين في هذه البلاد الأوروبية من الحصول على تشريعات وقوانين أخرى تسمح لهم بالدفن في هذه البلاد، وأن تكون لهم مقابرهم الخاصة بهم.

وقد أفتت العديد من المجالس الفقهية الأوروبية بجواز دفن موتى المسلمين في المقابر العمومية في الدول الأوروبية، وذلك من باب "ما لا يدرك كله لا يترك جله".

وقد أشارت المجالس الفقهية إلى أن هذا الحكم يناسب المسلمين الذين ليست لديهم إمكانيةٌ لِدَفْن موتاهم في مقابر إسلامية خاصة إن وجدت، ولا بنقلهم إلى بلد إسلامي بطريقة أو بأخرى. أما الذين كانت عندهم إمكانية الدفن في مقابر إسلامية خاصة أو يستطيعون نقل جُثَث ذَويهم إلى أوطانهم الأصلية، أو وجد من يتكفل بذلك، فالأمر واضح. وما ذلك إلا لأن قوانين الدفن والمقابر في البلدان الإسلامية تخضع للشريعة الإسلامية بخلاف قوانين البلاد الأوروبية.

وأكدت الفتوى على أن على المسلمين في البلاد غير الإسلامية أن يسعوا - بالتضامن فيما بينهم- إلى إيجاد مقابر خاصة بهم ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، فإذا لم يستطيعوا الحصول على مقبرة خاصة مستقلة، فلا أقل من أن يكون لهم مكان محدد خاص بهم في طرف من أطراف مقبرة غير المسلمين، يدفنون فيه موتاهم، وهذا أهون من توسط قبر المسلم في مقابر غير المسلمين.

ويدفعني إلى بيان هدي النبي صلى الله عليه وسلم وسنته في تبيان صفة الدفن وصفة المقابر عند المسلمين ظهور الأخطاء المتراكمة في عمليات دفن منافية تماما للدفن الإسلامي، من عدم حفر القبر ووضع شق الميت الأيمن باتجاه القبلة، وكذلك وجود طرق دفن عشوائية لا علاقة لها بسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهديه الشريف في أحكام الجنائز والمقابر، مع غياب العنصر الديني المؤطر والموجه والمتمثل بعلماء ورجال الدين، وغير ذلك من الأمور التي لا بد أن تندرج على عاتق المساجد والجمعيات الإسلامية في أوروبا، لتوضيح طريقة الدفن الصحيحة.

فالواجب أن يدفن الميت في قبر يمنعه من السباع متوجهاً إلى القبلة، وكلما عمق فهو أفضل، وأن يتولى الدفن الرجال، وإن كانت امرأة فزوجها أحق بدفنها لأنه أحق بغسلها، فإن لم يكن لها زوج فالأب، ثم الجد، ثم الابن، ثم ابن الابن، ثم الأخ، ثم ابن الأخ، ثم العم، فابن العم، ثم أهل الدين من نساء المسلمين.

والأفضل أن يكون القبر لحداً، وذلك بأن يُحفر للميت حفرة في عمق القبر مما يلي القبلة، ويوضع الميت في قبره على جنبه الأيمن متوجهاً إلى القبلة، وتحدد جهة القبلة بدقة في تلك المقبرة التي يتم فيها الدفن، ويدفن في كفنه الأبيض.

ولا ينبش قبر ميت إلا بعد التحقق من أن عظمه ولحمه قد فني وأصبح ترابا.

ولا بأس بزراعة النبات فوق القبر، ولكن دون تكلف، مع المحافظة على معالمه حتى لا يضيع ويندثر ويرش عليه الماء، ولأنه إذا لم يرش عليه الماء زال أثره فلا يعرف، ويستحب أن يجعل عند رأسه علامة من حجر أو غيره، لأنه يعرف به فيزار، ويكره أن يجصص القبر وأن يبنى عليه أو يقعد وأن يكتب عليه، لما روى جابر، قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر وأن يبنى عليه أو يقعد" (صحيح مسلم).

معينات التدبر وأدواته

د. محمد تاج العروسي

هذا كتاب جليل القدر، من تأليف الأستاذ الدكتور عبدالله الزبير، الأستاذ في جامعة القرآن الكريم بالسودان، وفيه يرشد المؤلف قارئ القرآن الكريم إلى أهم وأظهر المعينات إلى التدبر، وصولاً إلى الانتفاع بتلاوة القرآن.

تحدث المؤلف عن معينات التدبر وأدواته في مبحثين مستقلين، ففي المبحث الأول تناول معينات التدبر، وهي أربعة: أولها: الاستماع، وثانيها: التغنّي وإحسان القراءة، وثالثها: الترتيل، ورابعها: الترداد والتكرار، وفي المبحث الثاني: تحدث عن أدوات التدبّر وهي خمس: التفهم، والتفكر، والتذكر، والتأمل، والاعتبار.

المبحث الأول.. معينات التدبر الأربعة:

المعين الأول.. إحسان الاستماع:

ويكون بإلقاء السمع إنصاتا وإصغاءً لما يتلى من القرآن فيخترق الحواجز فينساب إلى سويداء القلب، فيمتلئ وعيًا، ويخفق إنابة، ويزداد إيمانا، ويزدان طمأنينة، فتستجيب الجوارح والأعضاء التزاما وطاعة وإحسانا، فيبلغ مستمع القرآن بهذه الكيفية الحية مدى الفهم لمعانيه والتفكر في مراميه، والاعتبار بعبره، وحكمه، وغاياته، وذلك غاية التدبر المقصود والتأثر المطلوب.

وإحسان الاستماع فسّر به بعضهم الإنصاتَ، إذ ليس الإنصات بمعنى السكوت فحسب، بل هو جامعٌ لأمور ثلاثة: السكوت، والإصغاء، والمراعاة، وبهذا يكون الإنصات تحسين الاستماع إلى الشيء، ولا يكون استماعُ المُنصتِ إلاّ مع التيقّظ والخشوع على حبّ وتعلّق وتعظيمٍ للكلام ولمتكلمه جلّ وعلا، وهذا

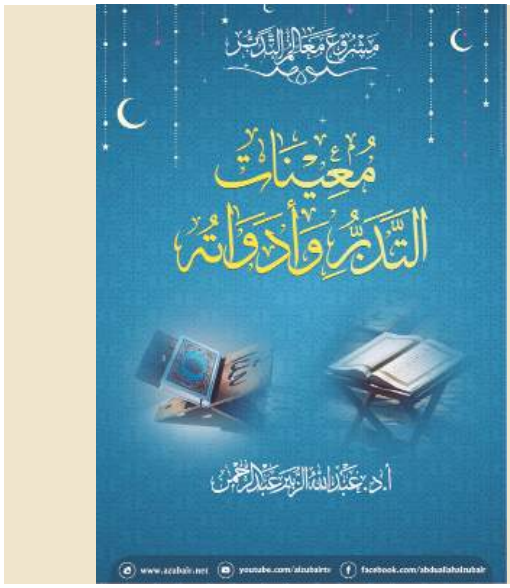

الإنصات هو الذي يفتح المدركات إلى آيات الله، ويجعل للبصائر بصراً هادياً إلى مواقع العبرة والعظة، ولهذا قال تعالى آمراً المؤمنين به: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: 204).

استماع الجن وتدبرهم: عندما أحسن الجن الاستماع والإنصات للقرآن؛ قادهم ذلك إلى الإيمان به فانصرفوا وكانت قلوب بعضهم عامرة بالإيمان، وانقشعت غشاوة الشبهات عن أعينهم وأبصارهم، فوقفوا على المعاني الإيمانية المحققة للعقيدة الحقة، فقاموا من هذا السماع المتدبر بوجوب التبليغ بشارة ونذارة فولّوا إلى قومهم منذرين. وعرف هؤلاء الجن أن القرآن مصدِّقٌ لما بين يديه من الكتاب، ووصلوا إلى أن الذي استمعوا إليه مِنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم قرآن عجيبٌ ذو جاذبية، وإيقاع يلمس المشاعر، ويهز القلوب، وعبروا

قسم العلماء مراتب القراءة إلى خمسة أقسام: الحدر، والتدوير، والترتيل، والتحقيق، والزمزمة، ويعتبر الترتيل عندهم أوسط مراتب القراءة وأفضلها

عنه بقولهم: "إنَّا سمِعنَا قرآناً عجباً، يَهدِي إلى الرُّشد فآمنَّا به ولن نُّشرك بربِّنا أحداً".

استماع النبي صلى الله عليه وسلم وتدبره: ذكر المؤلف أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أحسن المستمعين للقرآن والمتدبّرين له، وكان يحبّ استماعه من غيره مع أنّه هو الذي أُنزل عليه القرآن، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: قال لي النبي: اقرَأْ عليّ، قلتُ: أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال صلى الله عليه وسلم: فإنّي أُحبّ أنْ أسمعه من غيري، قال عبد الله: فقرأتُ عليه سورة النساء حتى بلغت "فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا"، قال: أمسك، فإذا عيناه تذرفان.

المعين الثاني: التغني وتحسين القراءات:

يقول المؤلف: إن تحسين الأداء وجمال القراءة وتزيين الصوت بالقرآن من أدعى المعينات وأجداها في حمل القلب على التفهّم والتدبّر، فإنّ جمال القراءة وحسن التلاوة بالصوت النَّديِّ الجاذب، هو الأداء الجميل الذي لا يقاومه قلبٌ سليمٌ، ولا ينسدّ دونه عقلُ لبيبٍ.

محقّقات التغنّي بالقرآن: ذكر المؤلف تحت هذا العنوان سبعة أمور تعين القارئ على التدبّر لآيات الله تعالى وهي:

الأول: تحسين الصوت وتزيينه، لحديث "زيّنوا القرآن بأصواتكم" وحديث: "فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً"، وحديث "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبيٍّ حسن الصوت بالقرآن يجهر به".

الثاني: التلحين والتطريب والتَّرنّم: يقول الحافظ بن حجر رحمه الله: "إنّ النفوس تميل إلى سماع القرآن بالترنّم أكثر من ميلها لمن لم يترنّم؛ لأنّ للتطريب تأثيراً في رقّة القلب وإجراء الدمع". والواجب أن تكون القراءة بالتلحين مما لا تجعل تلاوة القرآن كالغناء المذموم للشرع وأهله، فلا يُخرج القارئ من خشوعه ووقاره، ولا من رقته وخشيته. قال النووي رحمه الله تعالى: اختلفوا في القراءة بالألحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والتفهّم، وأباحها أبو حنيفة وجماعة من السلف للأحاديث، ولأن ذلك سبب للرقة وإثارة الخشية وإقبال النفوس على استماعه.

الثالث: الجهر بالقراءة: لحديث "ما أذن الله لشيءٍ ما أذن لنبيٍّ حسن الصوت يتغنّى بالقرآن يجهر به". وقد قالت أم هانئ رضي الله عنها: "كنت أسمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وأنا على عريشي".

الرابع: تحقيق التجويد: ويتحقق ذلك بإعطاء الحروف حقها ومستحقها في المخارج والصفات، ومراعاة أحكام الوقف والابتداء، وحركات المدود وغيرها. وقد سأل قتادة أنس بن مالك عن قراءة النبي فقال: "كان يمدّ صوته مدّاً"، وسئل كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كانت مدّاً، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، يمدّ ببسم الله، ويمدّ بالرحمن، ويمدّ بالرحيم.

الخامس.. الترجيع: كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم في قراءته. فعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وهو على ناقته، أو جمله، وهي تسير به، وهو يقرأ سورة الفتح، أو من سورة الفتح، قراءةً ليّنةً يقرأ وهو يرجّع".

السادس: القراءة بالتحزين: فعن عبد الرحمن بن السائب، قال: "قدم علينا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وقد كُفَّ بصرُه، فسلّمتُ عليه، فقال: من أنت؟ فأخبرته، فقال: مرحباً بابن أخي، بلغني أنّك حسن الصوت بالقرآن، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنّ هذا القرآن نزل بحَزَنٍ، فإذا قرأتموه فابكوا، فإنْ لم تبكوا فتباكوا، وتغنَّوا به، فمن لم يتغنّ به فليس منا". أخرجه ابن ماجه، وأبو يعلى، والبيهقي في سننه، وذكره الألباني في ضعيف الجامع.

السابع: استشعار الخشية: وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم حسن القراءة والتغنّي به بذلك، فقال عليه الصلاة والسلام كما في حديث جابر رضي الله عنه «إنّ من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله». وعن ابن عمر قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم: مَنْ أحسن الناس صوتاً بالقرآن؟ قال: «من إذا سمعت قراءته رأيت أنه يخشى الله عز وجل».

مفسدات التغنّي بالقرآن: تحت هذا العنوان ساق المؤلف بعض ما يعكّر جودة التغنّي بالقرآن ويفسد إحسان القراءة، وقال إنّ من مفسدات التغنّي بالقرآن على الوجه المحمود المحبوب في الشرع ما يلي:

1. الترعيد: وهو أن يرعّد صوته كالذي يرعُد من بردٍ أو ألم.

2. الترقيص: وهو أنْ يروم السكون على الساكن، ثم ينفر مع الحركة، كأنّه في عَدْوٍ أو هرولة.

3. التطريب: وهو أنْ يترنَّم بالقرآن، فيمدّ في غير مواضع المدِّ، ويزيد في المدِّ على ما لا ينبغي.

4. التحزين: وهو أن يأتي على وجهٍ حزينٍ مع المبالغة التي تُخرج القراءة عن حدّ المعقول المقبول.

5. التحريف: وهو أن يقرأ جماعة القرآن بصوت واحد، فيحذفون ما لا يُحذف، ويمدون ما لا يُمدّ.

6. التمطيط: وهو أنْ يزيد بتمديد الصوت حرفاً أو ينقص حرفاً.

المعين الثالث.. الترتيل:

قسم العلماء مراتب القراءة إلى خمسة أقسام: الحدر، والتدوير، والترتيل، والتحقيق، والزمزمة. ويعتبر الترتيل عندهم أوسط مراتب القراءة وأفضلها، وفيما يلي التفصيل:

1. الحَدْرُ: إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها، مع مراعاة أحكام التّجويد من إظهارٍ وإدغامٍ وقصرٍ ومدٍّ ووقفٍ إلى آخره.

2. التَّدوير: التوسط بين التّحقيق والحدر، وهو الذي ورد عن أكثر الأئمة من مد المنفصل ولم يبلغ فيها لإشباع.

تحسين الأداء وجمال القراءة وتزيين الصوت بالقرآن مِن أدعى المعينات وأجداها في حمل القلب على التفهّم والتدبّر

3. الترتيل: فهو الترسّل في القراءة والتمهّل في التلاوة على تؤدة واطمئنان تعبّداً وتفهّماً للقرآن، وهو أفضل المراتب كلها وأحسن الكيفيات جميعها مما يُقرأ بها القرآن، وهو الذي استحبه العلماء أكثر من غيره من طرق القراءة. وهذه الثلاث من مراتب القراءة متفقٌ عليها بين أهل القراءة والتجويد، وزاد بعضهم التحقيق والزمزمة.

4. التحقيق: إعطاء كل حرفٍ حقه من إشباع المدّ وتحقيق الهمز، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار والتشديدات، وبيان الحروف وتفكيكها، وإخراج بعضها من بعض، بالسكت والترتيل والتؤدة وملاحظة الجائز من الوقوف بلا قصر ولا اختلاس ولا إسكان محرّك ولا إدغامه.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن التحقيق نوعٌ من الترتيل، والفرق بينه وبين الترتيل من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: أنّ التحقيق يكون لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ، والترتيل لا يكون للرياضة ولا للتقويم، بل لبيان الألفاظ ومعانيها.

والوجه الثاني: أنّ التحقيق يؤخذ به على المتعلمين، بينما الترتيل يعمل به في التلاوة، ولا سيما العالِمين بالقرآن الماهرين فيه.

والوجه الثالث: إنّ التحقيق مقصوده وغايته ضبط القراءة وإعطاء الحروف حقها ومستحقها، بينما الترتيل مقصوده وغايته تحصيل التدبّر وفهم معاني الكلام المقدّس والخطاب الأعظم.

ولهذا قالوا: التحقيق للرياضة والتعليم والتمرين، والترتيل للتدبّر والتفكّر والاستنباط. وعليه: فكلُّ تحقيقٍ

ترتيلٌ وليس كلّ ترتيلٍ تحقيقاً.

5. الزمزمة: القراءة في النفس خاصة.

محقِّقات الترتيل: الترتيل الذي يتحقق عنده التدبّر يحتاج إلى جملة أمور يجب العمل بها، وهي:

1. الترسّل والتؤدة: قال القرطبي رحمه الله: ينبغي لقارئ القرآن أن يقرأه على تؤدة، فإنّ التفكّر أمكن منه عند الترتيل، فكان الترتيل بالذكر أولى، فيستعمل في ذهنه وفهمه حتى يعقل ما يخاطب به. والأصل في الترتيل أن يكون على تؤدة وتمهّل وترسّل، وهو غالب أحوال التالين لكتاب الله القارئين للقرآن، وهو أفضل من الهذّ والإسراع، وإنْ جاز الهذّ وصحّ وشرع. وقد كان حَبْر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يحثّ على ترتيل القرآن بتمهّل وتؤدة من أجل التدبّر حين قال له أبو حمزة إني سريع القراءة، وإني لأقرأ في ثلاث، فقال له: "لأن أقرأ البقرة أرتلها فأتدبرها خير من أقرأها كما تقول [وفي رواية] كما تقول هذرمة"، والهذرمة السرعة في الكلام والمشي. شرح صحيح البخاري لابن سلام.

2. الأمر الثاني: تجويد القراءة: وذلك بإحكام النطق بكل حرفٍ موفياً حقّه في حال الإفراد وحال التركيب، مع مراعاة الصفات اللازمة من ترقيق المرقّق، وتفخيم المفخّم، وتحقيق الهمز، والجهر، والاستعلاء، والإطباق، والشدّة، والرخاوة، والاستطالة، والإمالة، فإن ترك ذلك لم يكن مجوداً ومرتّلاً.

3. الأمر الثالث: إيقاع القراءة في القلب: وفي ذلك ما ثبت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حين قال له رجلٌ: إنّي أقرأ المفصّل في ركعة واحدة، فقال عبدالله: "هذًّا كهذِّ الشِّعر؟ إنّ أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسَخ فيه نفع".

4. الأمر الرابع: الوقف في موضع الوقف: قال الزركشي: وما يدعو إلى الوقف في موضع الوقف؛ الترتيل، فإنه أعون شيء عليه، وقد أمر الله تعالى به رسوله في قوله: "وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً".

الأمر الخامس: القراءة على المنازل وتمثيل المعاني: وهو كمال الترتيل كما لقّبه الزركشي رحمه الله، وبيّنه خير بيان فقال: "من أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل، فليقرأه على منازله، فإنْ كان يقرأ تهديداً؛ لَفَظَ به لَفْظَ المتهدد، وإن كان يقرأ لَفْظَ تعظيم لَفَظَ به على التعظيم، وحين يرتّل آيةً فيها وعيدٌ وتهديد لفظ بهما لفظ المتهدّد المتوعّد، وحين يتلو آيةً فيها عبارات التخويف والترهيب نطق حروفها كأنه جاثٍ على ركبته، وإذا تلا آيةً فيها الألفاظ الدالة على السعة والإحاطة في صفات الله تعالى نطقها وتلفظها بملء فِيهِ بحروفها معبّراً عن الإحاطة والسعة"، وهكذا.

الأمر السادس: المعايشة والتحقّق بأحوال المعاني: فالقراءة دون الانتباه لمعاني كَلِم القرآن لا يتحقّق بها ترتيل ولا يتحصّل بها تدبّر، وإنما اكتمال الترتيل وحقّه ومستحقّه؛ معايشة معاني الخطاب المقدّس.

الأمر السابع: التلبّس بمقامات التلاوة: يحرص القارئ أشدّ الحرص أنْ لا يخرج عن مقامات التلاوة والترتيل، فيتحقق بأحدها على أقلّ أحواله. والنّاس في تلاوة القرآن ثلاثة مقامات، كما قال بعضهم:

الأول: مقام العارفين: وهو مقام مَنْ يشهد أوصاف المتكلّم في كلامه، ومعرفة معاني خطابه، فينظر إليه من كلامه، وتَكَلُّمه بخطابه، ولا ينظر إلى نفسه، ولا إلى قراءته، ولا إلى تعلّق الإنعام به من حيث إنه منعم عليه، بل هو مقصور الفهم عن المتكلم، موقوف الفكر عليه، مستغرق بمشاهدة المتكلم.

الثاني: مقام المقربين: وهو مقام مَنْ يشهد بقلبه، كأنه تعالى يخاطبه ويناجيه بألطافه، ويتملقه بإنعامه وإحسانه، فمقام هذا الحياءُ والتعظيم وحاله الإصغاءُ والفهم، وهذا لعموم المقربين.

الثالث: مقام أصحاب اليمين: وهو مقام من يرَى أنّه يناجي ربه سبحانه، فمقام هذا السؤال والتمكن، وحاله الطلب، فإذا كان العبد يلقي السمع من بين يدي سميعه، مصغياً إلى سر كلامه، شهيدَ القلب لمعاني صفاته، ناظراً إلى قدرته، تاركاً لمعقوله ومعهود علمه، متبرئاً من حوله وقوته، معظّماً للمتكلّم، متفرّغاً إلى الفهم، بحالٍ مستقيم، وقلبٍ سليم، وصفاءِ يقين، وقوةِ علمٍ وتمكين؛ سمعَ فصلَ الخطاب، وشهدَ غيبَ الجواب.

المعين الرابع: ترداد القراءة وتكرارها: إنّ من أوجُهِ إعجاز القرآن العظيم أنه كلما قرأت فيه؛ ازددت متعة ولذّة لا تحبّ أن تتوقف عن تلاوته، ولا ترغب عن قراءته، ولا

تودّ أبداً أنْ توقف ترتيلَه، لأنك في كل مرة تطالع معنىً جديداً، وفي كل ترتيلةٍ تجد بُعداً جديداً، وفي كل قراءة يبادرك فهمٌ جديدٌ، ومع كل إعادة ترى صورة خُلُقية أو دعوة سلوكية أو دلالة عقدية أو إرشاداً تربوياً، أو توجيهاً أدبياً، أو موعظة، أو حكمة، أو عبرة، لم تكن من قبل، فلا تفتر من عجب إلا إلى عجبٍ.

المبحث الثاني: أدوات التدبر:

الأداة الأولى.. التفهم: فهو طلب الفهم، وتصوّر المعاني من ألفاظ الكلام، وصحة الانتقال من الملزومات إلى اللوازم، والفهم هيئةٌ للإنسان بها تتحقق معاني ما يَحسُن، وإدراكٌ خفيٌّ للمدلولات البعيدة في وقائع الأحوال وسياقات الأقوال، وهو فوق العلم ومعرفة الحُكْم، وربّ العزة يخصّ به من شاء، كما خصّ نبيه سليمان دون أبيه عليهما السلام، كما في قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

الأداة الثانية. التفكّر: وهو تصرّف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب، فغايته إدراك المراد، فهو أداة تحقّق التدبّر وتوفّره. وقد قيل في التفكّر إنّه التماس الغايات من مباديها، أو تلمّس البصيرة واستدراك البغية، وقيل: تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب، وسراج القلب يرى به خيره وشره ومنافعه ومضاره، وكل قلب لا تفكّر فيه فهو في ظلمات يتخبّط.

وجاء في القرآن معبَّراً به في أحد عشر موضعاً: "التفكر القصصي في الأحوال، التفكر التمثيلي، التفكر التكويني الخلقي، التفكر التبييني، التفكر التسخيري، التفكر التمييزي، التفكر التصويري، التفكر الاستقرائي، التفكر الواقعي الحقائقي، التفكر الحكمي، التفكر الاستقصائي".

الأداة الثالثة.. التذكر: فهو تفعُّلٌ من الذِّكر، وهو ضد النسيان، ويكون بحضور صورة المذكور العلمية في القلب. ويرى الهروي: أنّ التذكّر فوق التفكّر، لأنّ التفكّر طلب والتذكّر وجود.

ويقول ابن القيم: التذكّر والتفكّر منزلان يثمران أنواع المعارف وحقائق الإيمان والإحسان، والعارف لا يزال يعود بتفكّره على تذكّره وبتذكّره على تفكّره حتى يفتح قفل قلبه، بإذن الفتاح العليم.

والنّاس مع التذكّر ثلاثة: رجلٌ قلبه ميّت، فذلك الذي لا قلب له، فهذا لا تنفعه ذكرى ولو سمع.

ورجلٌ له قلب حيٌّ مستعدٌّ، لكنه غير مستمع للآيات المتلوة التي يخبر بها الله عن الآيات المشهودة؛ إمّا لعدم ورودها أو لوصولها إليه ولكن قلبه مشغول عنها بغيرها؛ فهو غائبُ القلب ليس حاضراً، فهذا أيضاً لا تحصل له الذكرى مع استعداده ووجود قلبه، والثالث: رجلٌ حيّ القلب مستعدٌّ تُليتْ عليه الآيات فأصغى بسمعه، وأحضر قلبه، ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه؛ فهو شاهدُ القلب، مُلْقِ السمع، فهذا القسم هو الذي ينتفع بالآيات المتلوة والمشهودة، وهم مجموعون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

الأداة الرابعة.. التأمل: فهو التثبّت في النَّظر، ويكون بتدبُّر الشيء وإعادة النظر فيه ليتحققه. والتأمّل المحقّق للتدبّر في القرآن فهو كما يقول ابن القيم: "تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبّره وتعقّله"، وهذا متحقّق بالتأمّل التدبّري.

الأداة الخامسة.. الاعتبار: فهو استبصار العبرة، وهو إنما يكون بعبور الألباب مشاهدَ البصر إلى شواهد البصيرة، بالتبصّر والتفكّر والتأمّل في صور الألفاظ والمباني لتحصيل حقائق المعاني، ولعلَّ ذلك هو أمرُ الله تعالى في سورة الحشر ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾. فمن الاعتبار: النظر إلى صنع الله في الذين كفروا وعاندوا وعصوا الرسول من بعد ما تبيّن لهم الحق مهما تحصنوا وتمنّعوا عن الله.

ومن الاعتبار: النّظر في حكمة الشريعة، وسنتها في مصالح الدنيا، ووجه الرّحمة للعباد بها، حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة في البقرة من أقوَى أسباب الرجاء، فقيل له: وما فيها من الرجاء، فقال: "الدنيا كلها قليل، ورزق الإنسان منها قليل، والدَّين قليل عن رزقه، فانظر كيف أنزل الله تعالى فيه أطول آية ليهدي عبده إلى طريق الاحتياط في حفظ دِينه، فكيف لا يحفظ دِينه الذي لا عِوض له منه".

لذلك؛ عظماء السلف رضوان الله عليهم كانوا يرون أعظم العبادة والقُربة إلى الله تعالى "الاعتبار".

رئيس الهيئة الأوروبية للمراكز الإسلامية:

وثيقة مكة جاءت في وقتها المناسب لحماية البشرية من مخاطر الفكر المنحرف

توفيق محمد نصر الله

زار مقر الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، الشيخ مهاجري زيان، رئيس الهيئة الأوروبية للمراكز الإسلامية، وكان لنا هذا الحوار التعريفي مع فضيلته حول جهود المراكز الإسلامية في أوروبا، وأوضاع المسلمين عمومًا في البلاد الأوروبية، فإلى مضابط الحوار:

ما طبيعة عمل الهيئة الأوروبية للمراكز الإسلامية وعدد فروعها في أوروبا؟

الهيئة الأوروبية للمراكز الإسلامية جهة متخصصة في العناية بشؤون المراكز الإسلامية، ولها تمثيل في 14 دولة أوروبية، ونسعى لتوسيع نشاطنا بإذن الله تعالى. أسست الهيئة وفقاً للمواد المتعلقة بتأسيس الجمعيات من القانون المدني السويسري، بمبادرة من

شخصيات تحمل همّ الجالية المسلمة في أوروبا، ينتمون إلى عدة أقطار أوروبية، وتعمل في نطاق الاتحاد الأوروبي، ونسعى لأن تكون هيئتنا المرجع الرئيسي في تفعيل المراكز الإسلامية وتأهيل الأئمة. والهيئة تتواصل مع المجتمع المدني والسلطات الرسمية في العديد من البلدان الأوروبية والإسلامية، وفق رؤية واضحة، وهي "التميز في خدمة المراكز الإسلامية للارتقاء بها وتطوير أدائها".

والهيئة لها الصفة الاستشارية في الأمم المتحدة، وهذا يفتح لنا المجال واسعاً في باب الأنشطة والفعاليات.

ويمكن إجمال أهداف الهيئة وطبيعتها في النقاط التالية:

" الارتقاء بدور المراكز الإسلامية في أوروبا، وتطوير وسائلها، وتوسيع نطاق أعمالها.

" تمكين المراكز الإسلامية من أداء دورٍ ريادي ضمن مؤسسات المجتمع المدني الأوروبي.

" تطوير أداء الأئمة والدعاة ورفع كفاءتهم.

" القيام بدور فعّال في مساعدة الجالية المسلمة للمشاركة الإيجابية في التنمية المجتمعية والحوار والتعايش مع مختلف مكونات المجتمع الأوروبي.

" تقديم نموذج متميز في التعريف بالإسلام ووسطيته واعتداله وسماحته.

" المساهمة في مكافحة التطرف بمختلف أشكاله، وتحصين الشباب المسلم في أوروبا من الانحرافات الخلقية والفكرية بصورها كافة.

ماذا عن مركز جنيف للبحوث والدراسات الذي أعلنتم عن تأسيسه وما هي أهدافه؟

نحتاج لتحقيق رؤيتنا وأهدافنا إلى عدة فضاءات متخصصة، من ذلك "مركز جنيف للبحوث والدراسات".

وبحول الله تعالى في هذا العام 2023م ستصدر لنا باكورة أعمال بحثية ودراسية منها:

كتاب "اعتدالنا"، وهو عبارة عن بحوث ودراسات قدمت في ورش وبحوث متخصصة من طرف خبراء من عدة دول، وسنتشرف بأن يكون التقديم بقلم صاحب المعالي الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى.

كتاب حول القمة العربية الأخيرة، "قمة بلد الشهداء فرصة حقيقية لوحدة العرب".

نحو وطن عربي موحد ومتكامل وهو عبارة عن مؤتمر دولي شارك فيه كوكبة من الدكاترة والباحثين والأكاديميين ووزراء وسفراء وممثلون لمنظمات دولية من مختلف الدول العربية ومن بعض الدول الإفريقية والأوروبية، متنوعة ثقافياً ودينياً، من مسلمين ومسيحيين وسنة وشيعة تجمعهم قيم مشتركة ومصير مشترك.

" كتاب حول واقع مسلمي إفريقيا في مواجهة الإرهاب.. الاستراتيجية وآليات التطبيق، وهو عبارة عن مؤتمر دولي افتراضي شارك فيه مجموعة من تسعة وعشرين عالماً من مختلف الدول بالتعاون مع الجامعة الإسلامية بمنيسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية فرع السنغال.

" كتاب حول وثيقة مكة المكرمة وفى الفترة السابقة قمنا بعدة دورات لتحصين الشباب من التطرف، ودورات أخرى تأهيلية لتدريب الأئمة ومديري المراكز الإسلامية.

ما الأدوات والوسائل التي يمكن من خلالها تفعيل عمل مركز جنيف للبحوث والدراسات؟

كثيرة هي تلك الأدوات التي يمكن من خلالها تفعيل عمل المركز، أولاها الندوات والمحاضرات والمؤتمرات والورش

نعمل على تقديم نموذج متميز في التعريف بالإسلام ووسطيته واعتداله وسماحته

عقدنا دورات تأهيلية لتدريب الأئمة ومديري المراكز الإسلامية للحفاظ على الهوية الإسلامية ونشر الفكر الوسطي

المتخصصة التي تتم بمشاركة نخبة من المتخصصين، تتضمن التأكيد على أهداف وغايات ومقاصد الهيئة، وبيان منهج الإسلام في احترام الإنسان وحفظ حقوقه، بغض النظر عن الدين أو الجنس أو اللون أو العرق. وهذه المحاضرات يتم التوسع في نشرها عبر وسائل التواصل الحديثة باللغات الأجنبية، بهدف الوصول لشريحة أكبر. كذلك من ضمن سبل تفعيل المركز التواصل مع الآخر المخالف، والتأكيد على قيم المواطنة والاندماج داخل المجتمع، والعمل على إقامة حوار بناء يدعو إلى الانفتاح على العالم على أسس من التفاهم والتسامح والرغبة الحقيقية في العيش بسلام وأمان وهو ما يحقق استقرار العالم. فالتحاور الإيجابي والتعاون يساعدان في حل المشكلات الاجتماعية الناتجة عن نظام العولمة، مثل انتشار الجهل والفقر والمرض، ويساعد الحوار أيضاً على العمل المشترك لمقاومة الفساد، وبناء مجتمع تحكمه الفضيلة والأخلاق والمثل العليا والقدوة الصالحة تحت مظلة القيم الأخلاقية الدينية التي تتضمنها الأديان كافة، ويعمل الحوار على المساواة بين الثقافات والحضارات المختلفة، وعدم ازدراء الآخر أو الحط من شأنه، وهذه القضايا في الأساس تهم أبناء الجالية بشكل أساسي.

كيف تقيمون جهود رابطة العالم الإسلامي في خدمة الإسلام والمسلمين؟

رابطة العالم الإسلامي تقوم بجهود غير مسبوقة في خدمة الإسلام والمسلمين حول العالم، كما أن جهود الرابطة ومعالي الأمين العام الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى، تحظى بتقدير واحترام جميع المؤسسات الدينية في العالم، لأن الرابطة تتبنى مسارات متعددة أهمها نشر التسامح والتعايش السلمي، وبيان عظمة الإسلام، بالإضافة إلى التواصل مع الجميع، والقيام بمبادرات كبيرة في دعم النازحين والمهاجرين حول العالم. والمؤكد أن جولات معالي الأمين العام الشيخ الدكتور العيسى، تجسد هذه المعاني في خدمة الإسلام والإنسانية، فقد عمل معاليه على قبول الطرف الآخر كما هو بثقافته وتاريخه وبُنياته الفكرية عن طريق الحوار، وبحث سبل التعايش السلمي بين أتباع الديانات، وإيجاد نقاط التلاقي بينهم، ودراسة أوضاع البشرية والمشاكل التي تواجهها، وبحث سبل علاجها، من إيقاف الحروب، وفض المنازعات، وتقديم المساعدات للمحتاجين، والتعاون في شتى مجالات الحياة الإنسانية.

كما قام معاليه بإنشاء حوار بين المذاهب المختلفة في كل دين لسد الفجوة فيما بينها، والتخلص من روح العداء المتبادل، ونتائجه العدوانية، وحث على ضرورة التركيز على المشترك الإنساني بين أتباع الديانات السماوية من ناحية، وبين الثقافات والشعوب عمومًا من ناحية أخرى، والدعوة لإعلاء قيمة الحوار للوصول إلى السلام الدائم بين الشعوب، ومحاربة ظاهرة الإسلاموفوبيا، بالإضافة إلى اهتمامه بذوي الاحتياجات الخاصة وتوفير المصاحف لهم، لذلك اكتسب احترام العالم بداية من رؤساء الدول وقادة الأديان والفكر.

كيف تقيمون مستوى التعاون المشترك بينكم وبين رابطة العالم الإسلامي؟

الهيئة الأوروبية للمراكز الإسلامية تتعاون مع الكثير من المنظمات والمؤسسات الدينية والثقافية والتعليمية في أوروبا، وفي العالم العربي والإسلامي، وبشكل مستمر مع رابطة العالم الإسلامي، من خلال عقد الندوات والمحاضرات والتوسع في الأنشطة الدعوية من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، بهدف نشر الوسطية والاعتدال وتوعية أبناء الجالية، ومنذ أيام كنت في زيارة للمملكة العربية السعودية والتقيت بمعالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، وكذلك الدكتور عبد الرحمن الزيد نائب الأمين العام، وبإذن الله تعالى الفترة المقبلة سوف تشهد مزيداً من التنسيق والتعاون مع رابطة العالم الإسلامي في إطار جهود خدمة الإسلام والمسلمين، وتوعية أبناء الجالية

المسلمة في أوروبا، ونطمح بتعاون أكبر بالعمل على تنفيذ برامج مشتركة في أوروبا في هذا العام 2023 مع الهيئة العالمية للكتاب والسنة، وقد كان لنا السبق بعمل نشاط مشترك مع إدارة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وعمل محاضرات داخل جامعة جنيف، وقد تميزت بكثافة الحضور والنجاح الكبير.

كيف ترون المضامين التي تضمنتها وثيقة مكة المكرمة وكيف يمكن تفعيلها؟

وثيقة مكة المكرمة هي وثيقة تاريخية، توفر لها بعدان عظيمان، وهما قداسة المكان وشرف الزمان، لأنها بالفعل لها دور كبير في تحقيق التسامح والتعايش السلمي في العالم أجمع، وقد جاءت الوثيقة في مرحلة هامة للغاية من تاريخ الإنسانية، وتضمنت الكثير من المعاني التي كان يحتاجها العالم لمواجهة الأزمات التي تحدث نتيجة الفهم الخاطئ للمفاهيم. ويمكن القول إن أبناء الجالية المسلمة في الغرب أكثر الفئات التي انعكست عليهم هذه الوثيقة بشكل إيجابي، لأنها تتضمن معاني العيش المشترك والأخوة الإنسانية والتعامل مع الآخر المخالف، وفقاً للمشتركات الإنسانية، وضرورة الاندماج الإيجابي في المجتمعات، ومن الأمور الجيدة التي حدثت أخيراً أنه تم اعتماد نصوص الوثيقة للتدريس في المناهج الدراسية وبرامج تدريب الدعاة في العديد من دول العالم الإسلامي، وهذا يؤكد مدى الحاجة لمزيد من ترسيخ مضامينها لتحقيق المعاني والقيم والأخلاق ونشر الاعتدال.

صدرت وثيقة مكة المكرمة عن ألف ومائتين من كبار مفتي وعلماء الأمة الإسلامية، وقد جاءت فكرتها في ختام المؤتمر التاريخي المنعقد بجوار الكعبة المشرفة "قيم الوسطية والاعتدال" الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي برعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله، خلال الفترة 22 24- من شهر رمضان المبارك لعام 1440هـ الموافق 27 - 29 من شهر مايو لعام 2019م، وهي وثيقة شديدة الأهمية جاءت في وقتها المناسب لحماية البشر من مخاطر الفكر المنحرف، وشراسة العدوان الدموي الغاشم؛ ولهذا لا بد من توفر العقول النيرة والهمم العالية والنيات الحسنة للاهتمام بهذه الوثيقة المباركة لنشرها وتحليلها وإبراز أهم قضاياها، تمهيدا لتطبيقها وإحلالها محل دعاوى العنف والإرهاب والتطرف، وإن أنظار العقلاء ترنو إلى تفعيل بنودها لإحلال السلام في العالم، بالإضافة إلى إنهاء الصراعات في كثير من بؤر النزاع.

ما أفضل السبل لنشر المفاهيم التي تضمنتها وثيقة مكة المكرمة لغرس القيم والأخلاق النبيلة والتوعية بأهمية التعايش السلمي والتحلي بأخلاق الإسلام مع الناس جميعاً مهما كانت ديانتهم؟

نعيش في وقتنا الحاضر مرحلة يغلب عليها العديد من الأفكار الفاقدة للقيم الأخلاقية والاجتماعية والحضارية والدينية، والتي تقوم بتأجيج صراعات لا عقلانية، وتحمل فكراً تحريضياً يقود إلى العنف والكراهية وفقدان الهوية الدينية، وخلق جماعات شوفينية بعيدة عن أي إيجابيات. وهذا الأمر يتطلب محاربته بكل الوسائل، سواء كانت دينية أو قانونية أو اجتماعية، وأركز هنا على الجانب التربوي الذي يمنع سيطرة التطرف ويجنب المجتمع آثاره.

وإذا كان الدين هو القوة الرئيسية والمؤثرة في بناء مجتمع متوازن فإن فقدان التوازن الديني يؤدي إلى التطرف ويولد العنف، وبما أن الدين والعلم متلازمان يكمل بعضهما بعضا فإن المجتمع لا يمكن أن يقوم إلا بالعلم والدين، لذلك لا بد من نشر مبادئ وأهداف "وثيقة مكة المكرمة" التي من شأنها إعلاء قيمة الإنسانية من خلال الرجوع للتعاليم الدينية الصحيحة، والعمل على نشر ثقافة الحوار والتسامح بين بني الإنسان، وهذا يتحقق من خلال التوسع في تدريس نصوص الوثيقة، وترجمتها إلى اللغات الأجنبية، ووضعها على مواقع وصفحات التواصل الاجتماعي، بجانب عمل ندوات مستمرة عن الوثيقة، لبيان مدى حاجة العالم لتطبيقها، ولا بد أن يطلع عليها الدعاة والأئمة بشكل مستمر، وتتم الاستفادة منها في العمل الدعوي والخطب والدروس الدينية.

تعلمون حاجة الجاليات المسلمة في الغرب لتعلم اللغة العربية، فلا شك أنكم تحرصون على هذا المجال الحيوي؟

نهتم كثيرا بتعليم اللغة العربية لأبناء الجالية وكذلك لغير الناطقين بالعربية، وهناك إقبال كبير على تعلم اللغة العربية، وقد أصدرت الهيئة قراراً منذ فترة باختيار سيدة خبيرة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها لتشرف على هذا العمل، وهذا العمل أتابعه بشكل مستمر، وهناك تقدم جيد في هذا المسار، ويتم حاليا

الهيئة الأوروبية للمراكز الإسلامية جهة متخصصة في العناية بالمراكز الإسلامية ولها تمثيل في ١٤ دولة أوروبية

د. محمد العيسى حث على ضرورة التركيز على المشترك الإنساني بين أتباع الديانات السماوية من ناحية وبين الثقافات والشعوب من ناحية أخرى

التوسع في تعليم اللغة العربية عن بعد عبر الوسائل الحديثة، وهناك دورات تقوم بها الهيئة الأوروبية للمعلمين والمعلمات تقدم من خلالها منهج "اقرأ وارتق"، والهيئة لديها شراكة مع جمعية جود الكويتية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

ماذا عن جهود المراكز الإسلامية في نشر الثقافة الإسلامية وبيان سماحة الإسلام وتوعية أبناء الجالية ونشر التسامح؟

جهود المراكز الإسلامية في هذا المجال تنطلق من التأكيد على أن الإسلام هو دين السلام والتعايش السلمي، وأن الوسطية منهج إسلامي، وأن التعريف بالإسلام يكون من خلال المعاملات، وأقول دائما إن التعامل بأخلاق الإسلام مع غير المسلمين هو أفضل سبل التعريف بالإسلام، وهذه المعاني هي جوهر العمل الدعوي في المراكز الإسلامية، وترجمة عملية ومعرفية لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، بما فيها من قيم عملية لتطبيق التسامح والعفو والسلام وقبول الآخر وغيرها.

ما هي أبرز جهودكم في مجال تطوير أداء الأئمة والدعاة ورفع كفاءتهم لتتواكب مع حاجة وتطلعات الجالية المسلمة في أوروبا؟

التدريب المستمر هو أهم ما يمكن أن يدعم جهود الأئمة والدعاة، والتدريب يكون على فقه الواقع وحاجة المجتمعات وفق رؤية الإسلام المعتدلة التي مصدرها الكتاب والسنة. كذلك نستضيف كبار العلماء والمتخصصين في شتى المجالات، وهذا يساعد في تنمية أفكار الدعاة وتعميق الفهم السليم في المراكز الإسلامية، بجانب المحاضرات والندوات، ونأمل أن نستفيد من علماء الرابطة في محاضرات ودورات متخصصة في المستقبل القريب.

ما أبرز جهودكم في مجال تحصين الشباب المسلم في أوروبا من الانحرافات بصورها كافة؟

نهتم بحثّ الشباب على العفة والأخلاق والبعد عن الفاحشة، وننصح الأسر كذلك بمتابعة الأبناء وتوعيتهم، ودائما ما تتضمن الخطب والدروس هذه القضايا، لأنها تعد محورية في سبيل توعية أبناء الجالية، وفي برنامجنا مشاريع خاصة بالشباب في هذا المجال.

وإذا ما نظرنا إلى الدور التربوي في المدارس والمؤسسات الشبابية نجد أننا نواجه ضعفاً في الأنشطة الاجتماعية الفاعلة في هذا المجال، والمؤثرة في إنماء المدارك والمعارف، فالتربية تبدأ من التوجيه المنزلي الذي تنبع منه التنشئة الدينية للفرد، ثم تنتقل إلى المدرسة التي تقوم بمهمة تنمية الفكر والعقل وإعلاء القيم الدينية، فإذا ما كان هناك إخفاق في هذا المجال فإنه يؤدي إلى الانخراط في العنف والعمل على استبعاد الغير؛ لذا فالأمر جد خطير، يستدعي العمل الدؤوب على إحلال ثقافة المحبة محل الكراهية، والتسامح بديلا عن العنف، وهو ما يقع على عاتق الأسرة والمدرسة، وكذلك التربويين والمفكرين، على أن يتم التناغم والمواءمة بين الدين والثقافة والتربية بالإعداد لبرامج تنظم سلوكيات الأفراد، وترسّخ قيم الأخوة الإنسانية، وتقوي أواصر المودة وحسن التعامل، لتنشأ الأجيال على ثقافة الحوار والتسامح الديني، واحترام خصوصية كل فرد، والعمل المشترك، والتعاون الخلاق.

ففي عصرنا الذي نعيشه اليوم المزدحم بالمشاكل والسلوكيات المتطرفة والعنيفة من بعض التيارات المنحرفة، سواء كانت فردية أو جماعية، فإنه يجب الرجوع إلى تعاليم الدين السمحة الصالحة لكل زمان ومكان، والزاخرة بالفضائل والقيم الخلقية والروحية التي تهتم بالعدل وإشاعة أجواء الحب والتسامح والتعاون والتراحم

بين البشر، تلك التعاليم العالية التي أنهضت العلم من خموله، وحلّت العقل من عقاله، وتمشت مع العصر، ورأت سنة الله في كل عصر بما يتفق مع الفطرة، ويطابق الحقيقة، ويصادق عليه العقل.

فعباد الله جميعهم راجعون لأب واحد وأم واحدة، لا فضل لأحد على آخر إلا بتقوى الله والإحسان إلى عباده، وليس العداء من الدين، فالدين والحضارة يخاطبان العقل، والضمير الإنساني والروح، ويحثان على السلام والبناء والإعمار، وكل الأديان تدعو إلى السلام والمحبة والتآخي واحترام حقوق الآخرين، وكل الحضارات تدعو إلى الاستقرار والبناء وإثراء الحضارة الإنسانية بالإنتاج الفكري والفني، وبالحوار البناء مع الآخر.

بماذا خرجتم من ملتقى البحرين للحوار بين أتباع الأديان؟ وكيف يمكن ترسيخ قيم التعايش السلمي بين أتباع الأديان في العالم وقبول الآخر؟

الحقيقة إن الحوار هو الأساس، والاحترام هو المنهج الذي يحكم العلاقات بين أتباع الأديان، واحترام الخصوصيات ضرورة للعيش المشترك، كذلك الملتقى أكد أن هناك دوراً محورياً يقع على عاتق القيادات الدينية في تحقيق هذه المعاني.

إننا في حاجة ماسة إلى تغيير أخلاقي تشترك فيه كل الأديان والثقافات والشعوب خاصة، وإننا نعيش عصر المعلومات والتكنولوجيا الحديثة الذي أصبح اليوم مصدرًا مهمًا للتفاهم والتلاقي في عالم متعدد الثقافات، متعدد الجنسيات، وذلك لبلوغ مستقبل أفضل للإنسانية، هذا التغيير الأخلاقي يقوم على احترام التعدد والتنوع وقبول الاختلاف بين البشر.

فالأرض التي نحيا عليها هي وطن للجميع، وبما أننا لم يَعُد لدينا خيار إلا أحد أمرين: إما الصراع أو الحوار والتعايش، فإنه ينبغي علينا النظر والاعتبار في القيم الإنسانية المشتركة بين الأديان والثقافات التي تمكننا من إقامة حوار إيجابي فعال يثمر تعايشاً سلمياً.

إن العدالة والمساواة والتسامح والتعاون والإيثار والمحبة وغيرها من الفضائل؛ هي جميعًا قيم مشتركة بين الأديان، كما أن السعادة والألم والمعاناة والرحمة هي جزء من إنسانية كل إنسان، لا يمكن العيش بدونها.

كان لكم حضور كذلك في مؤتمرات أخرى مثل مؤتمر مؤسسات الفتوى في العصر الرقمي، والمؤتمر الدولي لمكافحة الإرهاب الإلكتروني، فماذا عن مشاركتكم فيها؟

استخدام وسائل التواصل الحديثة في الدعوة والفتوى ضرورة في هذا العصر، لأن الشباب حالياً يُقبل على هذه الوسائل، ولا بد أن تقوم المؤسسات الدينية بدورها في تطوير مواقعها وصفحاتها على شبكة الإنترنت، لأن هذا من متطلبات الواقع وواجب الوقت.

أما ما يتعلق بمكافحة الإرهاب الإلكتروني، فإنها مسؤوليتنا جميعاً تجاه هذه الظاهرة.

لقد أصبح الإرهاب الإلكتروني من أخطر التهديدات الفكرية والأمنية التي تعاني منها جميع البلدان.

هذه المواقع تنتشر بها فتاوى وتفسيرات متشددة وشاذة للنصوص الدينية، ينخدع بها من هم على دراية سطحية بأمور دينهم، فينخرطون في صفوف المتطرفين الذين يرتكبون الأعمال الإرهابية بدعوى الدين. كذلك أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي مصدر خطر يهدد الدول والمجتمعات، وهدفاً لتحقيق أغراض سياسية أو دينية أو عرقية، وهذا يتطلب وضع وتنفيذ استراتيجية لمواجهة تلك الشائعات الإلكترونية؛ والتصدي للحملات الإلكترونية التي تستهدف في المقام الأول تدمير فكر الشباب، فالجماعات المتطرفة تسعى دائما لنشر أفكارها عبر الفضاء الإلكتروني، ولا بد أن تقوم المؤسسات الوسطية بتكثيف جهود التوعية ورصد الفتاوى المتطرفة في الفضاء الإلكتروني والرد عليها، حتى لا نترك مواقع التواصل الاجتماعي للفكر المتشدد، ولعل مشروعنا في تأسيس "المركز الأوروبي للفتوى الإلكترونية" يدخل في هذا السياق.

وفي الختام أشكر مجلتكم الرائدة (الرابطة)، التي تعتبر مدرسة في الدعوة والإعلام والتواصل، والتي وفرت لهذا الفضاء فرصة طيبة للتعريف بالهيئة وأهدافها ومشاريعها، وبالمناسبة أرفع أسمى آيات الامتنان لمعالي الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى، لجهوده الممتازة والمتميزة والرائدة في خدمة الإسلام والمسلمين والإنسانية جمعاء، بارك الله في معاليه، وتقبّل منه، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

مقال

العقوبات الشرعية بين رحمة الإسلام وشبهة المخالفين

بقلم: د. أحمد عبد القيوم عبد رب النبي
الباحث في إدارة الدراسات بالرابطة

من التشريعات الكبرى ذات الصلة الوثيقة بالمجتمع الإنساني، وبسْط الأمن والاستقرار في ربوعه: (التشريع الجنائي المتضمّن للعقوبات والحدود الشرعية)، الذي يحفظ للأرض صلاحها، ويَضمن للإنسان الحياة الكريمة، محققاً له مصالحه العليا بتأمين ضرورياته الأساسية التي بيّنها الإمام الغزالي بقوله: "ومقصود الشرع من الخَلق خمسة، وهو أن يَحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمّن حِفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوّت هذه الأصول فهو مَفسدة، ودفْعها مَصلحة".

إلا أن هذا السموّ والكمال في التشريع الجنائي الإسلامي لم يُفهَم على وجهه الصحيح لدى البعض، ولم يرُق في أذهان المشككين والمُغرضين الذين في قلوبهم مرض، فقاموا بنشر التُّهم وإثارة الشبهات حوله؛ لزعزعة بنيانه

وتقويض أركانه والطعن في كفاءته والتشكيك في صلاحيته حتى تحلّ الفوضى في نظامه، ويَفقد أتباعه الثقة به، وأنّى لهم ذلك! فالشريعة وأحكامها محفوظة من لدن حكيم عليم، قيّض الله للدفاع عنها علماء أجلّاء في كل عصر وحين.

وكان من التهم الموجّهة إلى التشريع الجنائي في الإسلام: أنه يتضمن قسوة وشدة وعنفاً، وهي أمور تنافي الإنسانية الرحيمة، وتناقض المدنية الحديثة، وتصادم الحضارة الراقية، فهو بذلك لا يساير روح العصر الذي ارتقَت فيه المدارك والطباع الإنسانية، كما أنه يخالف المعايير التي تنادي بها المنظمات الدولية للحفاظ على حقوق الإنسان وكرامته.

وقبل أن أستعرض جملة من الردود التفصيلية على هذه الشبهة الزائفة، أريد أن أضع القارئ أمام عدد من الحقائق والشواهد، وهي كما يلي:

أولاً: أن الإسلام دين ورسالة سماوية؛ وما من رسالة سماوية إلا وقد اشتملَت على الحدود أو التعازير.

ثانياً: أن التشريع الإسلامي لا يُسرف في عقوبة القتل ولا يَفرضه بدون مقتضى، فعدد الجرائم التي يعاقَب عليها بالقتل في الشريعة الإسلامية قليلة معدودة دون العشرة، والجرائم التي يعاقَب عليها بالقطع جريمتان فقط، بينما القوانين الوضعية -إلى أواخر القرن الثامن عشر- كانت تُسرف في عقوبة القتل إلى حد بعيد.

ثالثاً: أن تشريع العقوبات والحدود في الإسلام ليس اجتهادا بشريا قاصرا، وإنما هو تنزيل من لدن حكيم عليم، العالم بما يُصلحها، الخبير بما يقوّمها ويهذّب طباعها.

رابعاً: أن الشريعة الإسلامية عند تنفيذها للحدود أعطَت لكرامة الإنسان اعتبارها كاملا، فقد راعت الوقت والمكان اللذين تنفَّذ فيهما العقوبة، والحالة الصحية للمحكوم عليه، وأصحاب الأعذار، كما حرصَت على عدم الإسراف في تنفيذ العقوبة، أو تأجيله عند الضرورة، مما يدل على حرص الإسلام على تطبيق الحدود في أضيق الأحوال مع مراعاة الظروف، ويُذكر في هذا: أن أحد الفقهاء كان جالسا في المسجد، فسمع صوت رجل يُضرب في ساعة باردة، فقال: ما هذا؟ قيل له: رجل يُضرب؛ فقال: سبحان الله، أفي مثل هذه الساعة يُضرب؟ فسأله أحد الأشخاص: جعلت فداءك، أللضرب حدٌّ؟ فقال: نعم، إنه لا يُضرب أحد في شيء من الحدود في الشتاء إلا في حر النهار، وإذا كان في الصيف ضُرب في أبرد ما يكون من النهار.

خامساً: أن الإسلام لم يكن أبدا متشوّفا ولا متلهّفا لإقامة الحدود على الجناة، كما يدل عليه حديث عائشة -رضي الله عنها-: "ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مَخرج فخلّوا سبيله، فإن الإمام أن يُخطئ في العفو خيرٌ من أن يخطئ في العقوبة"، (هذه الرواية موقوفة وفيها راو ضعيف).

سادساً: أن تشريعات الإسلام مبناها أساسا على الرحمة والتخفيف، لا القسوة والتعنيف، لأنه دين يسر ومحبة وتراحم وتسامح، وتعتبر الرحمة من أسسها ومقوماتها الثابتة، ومن هنا كانت العقوبات في الإسلام وقائية علاجية ردعية أكثر من كونها عقوبة قمعية انتقامية.

سابعاً: أن الإسلام في تشريعه للعقوبات والحدود لم يقصد مجرد توقيع العقوبة على الجاني كما هو حال التشريعات الوضعية والقانونية، وإنما راعى في ذلك تحقيق مقاصد كبرى وغايات عظمى، مما يَنفي عنها بتاتا تُهمة القسوة والعنف، ولعل في مقدمة تلك المقاصد: حماية المجتمع من الإجرام والانحراف، وبسْط الأمن والاستقرار، وحِفظ المصالح الأساسية والضرورات الخمس للإنسان، وجودا وعدما، وضمان تحقيقها.

أما الرد التفصيلي على هذه الشبهة فسيكون من عدة أوجه، فيما يلي:

ـ أن هذه العقوبات والحدود ثابتة شرعا لحَكَم إلهية، قد تَظهر لقوم وتَخفى على آخرين، ولا يضرّ المسلم أن يَعرف الحكمة أو يجهلها، فلله الحكمة البالغة في كل تشريع، وليس لمتشدّق أن يتحدث عن قسوة الحدود، وشدة العقوبات؛ لأنه ليس أبصر بمصلحة الخلق وأرحَمَ بهم من خالقهم الحكيم الرحيم، ولعلنا نستذكر هنا ما قاله الشاعر المعرّي:

يدٌ بخَمس مئينَ عَسجدٍ وُدِيَتْ ...
ما بالها قُطعت في ربع دينارِ؟

فأجابه بعضهم:

هناك مظلومة غالَت بقيمتها ...
وها هنا ظلَمت؛ هانَت على الباري

وأجابه آخر بقوله:

عزُّ الأمانة أغلاها وأرخصها ...
ذُلّ الخيانة فافهَم حكمة الباري

وقال آخر في الرد عليه:

صيانة النفس أغلتها وأرخصها ...
خيانة المال فانظر حكمة الباري

ـ إنّ المسلّم به بين العقلاء أن كل عقاب لا بد فيه نوع قسوة وشدّة، حتى لو ضَرب الرجل ابنه مؤدّبا له، لكان في ذلك نوع قسوة، فالزعم بوجود عقاب بدون قسوة مكابرة ظاهرة ومخالفة للعقل والمنطق السليم، وهذا ما قرره اللغويون أيضا حين قالوا: "إن العقوبة اسم مشتق من العقاب، ولا يكون عقابا إذا كان موسوما بالرخاوة والضعف"، فعنصر القوة والإيلام يمثل الركن الأساسي

لمعنى العقوبة، ولو فُقدت القسوة والألم لفُقدت معها معنى العقوبة بدون شك.

ـ إن العقوبات إنما تكون على عمل إجرامي وضارّ ومُفسِد، وليس على عمل صالح نافع مبرور، فإذا لم تشتمل على شيء من القسوة والإيلام، لم يكن لها أي أثر إيجابي، وكيف ستكون رادعة وزاجرة للمُجرمين وضعاف النفوس عندئذ؟! لذا لا بد من القسوة فيها ليتحقق مقصد الشارع الحكيم من ردع الجاني وزجره من العودة، وكذا ردْع غيره من التفكير بالجريمة خوفا من العقوبة، قال ابن القيم: "كان من بعض حكمته -سبحانه- ورحمته أن شرَع العقوبات في الجنايات الواقعة بين الناس، في النفوس والأبدان والأعراض والأموال كالقتل والجراح والقذف والسرقة، أحكم -سبحانه- وجوه الزجر الرادعة عن هذه العقوبات غاية الإحكام، وشرَعها على أكمل الوجوه المتضمّنة لمصلحة الردع والزجر، مع عدم المجاوزة لما يستحقه الجاني في الردع؛ فلم يَشرع في الكذب قطْع اللسان ولا القتل، ولا في الزنا الخصاء، ولا في السرقة إعدام النفس؛ وإنما شرَع لهم في ذلك ما هو موجب أسمائه وصفاته وحكمته ورحمته ولطفه وإحسانه وعدله، لتزول النوائب وتنقطع الأطماع عن التظالم والعداوات، ويقتنع كل إنسان بما آتاه مالكه وخالقه، فلا يطمع في استلاب غيره حقه".

ـ إن التشريع الإسلامي وازنَ بين العقوبات وموجباتها، فجعل شدّة العقاب مقابل شدة أثر الجريمة وخطرها على المجتمع، أفراداً وجماعات، وبالتالي فإن القسوة المصاحبة للعقوبة ليست على درجة واحدة في الجرائم كلها، وإنما تكون ملائمة للجريمة وبحسبها، فتزيد بزيادة خطورتها وشدتها وتَنقص بنقصانها، مما يدل على الحكمة والعدل والرحمة في تشريعها، وإن القول بقسوتها مطلقا هكذا غير مسلّم أبدا، فمثلا: جاء التغليظ في العقوبات الشرعية التي توصف بالهمجية والوحشية، كقتل القاتل وقطْع السارق، ورجْم الزاني، فهذه الجرائم أمهات المفاسد، وكل واحدة منها تتضمن اعتداء على الضرورات الخمس التي أجمعت الشرائع والعقلاء على صيانتها، لأن الحياة لا تستقيم بدونها، فناسب تغليظ عقوبتها لتكون زاجرة ورادعة.

ـ العقوبة في ظاهرها قد يبدو فيها بعض القسوة والشدة، ولكنها في الحقيقة رحمةٌ بالمجرم والمجتمع، حيث إنها تكفّ المُجرم وتَزجره وتردعه، وفي ذلك تقويم وإصلاح له، وهي رحمةٌ للمجني عليه برفع الظلم عنه وأخْذ حقوقه من الجاني، وهي رحمة للمجتمع بإقرار الأمن ونشْر الطمأنينة، فالعقوبات الشرعية كما يقول ابن تيمية: "هي رحمة من الله بعباده، فهي صادرة عن رحمة الخَلق وإرادة الإحسان إليهم، ولهذا ينبغي لمن يعاقب الناس بذنوبهم أن يقصد بذلك الإحسان إليهم كما يقصد الوالد تأديب ولده، وكما يقصد الطبيب معالجة المريض".

ـ إن القسوة المصاحبة للعقوبات لا تعدو أن تكون قسوة تلويح وتهديد، وهو أسلوب تربوي وقائي أكثر من أن يكون عملا انتقائيا أو علاجا بعد الوقوع، وهو بهذا ينطلق من أدق الأسس التربوية السليمة للمجتمع، يقول الإمام ابن القيم: "الحدود جعلها الله زواجر للنفوس، وعقوبة ونكالاً وتطهيراً، فشرْعها من أعظم مصالح العباد في المعاش والمعاد، بل لا تتم سياسة ملك من ملوك الأرض إلا بزواجر وعقوبات لأرباب الجرائم، ومعلوم ما في التحيل لإسقاطها من منافاة هذا الغرض وإبطاله وتسليط النفوس الشريرة على تلك الجنايات إذا علمت أن لها طريقاً إلى إبطال عقوباتها"، وقال ابن عاشور: "مقصد الشريعة من تشريع الحدود والقصاص والتعزيز: تأديب الجاني، وإرضاء المجني عليه، وزجر المقتدي بالجناة".

ـ إن ترك إقامة الحدود الشرعية بزعم القسوة والعنف يوقِع المجتمع في قسوة أشد منها، فكان عين الرحمة والحكمة والمصلحة بالمجتمع وبالمجرم إقامة الحد عليه، كالطبيب الذي يجري عملية جراحية ويستأصل بمشرطه بضعة من جسم المريض مع ما فيها من قسوة ظاهرة، لكنه رحمة وشفقة بباقي جسم المريض، لكي يبقى سليما صحيحا، فكذلك قسوة الحدود والعقوبات حرصا على سلامة جسم المجتمع من الفساد، وكان من الحزم والعقل القسوة على الجزء الفاسد منه وهو المجرم، ليَسلم باقي أعضاء المجتمع ويهنؤون في حياتهم.

ـ إن هؤلاء المتّهِمين للعقوبات الشرعية بالقسوة قد اعتبروا مصلحة المُجرم ونسوا مصلحة المجتمع، وأشفقوا على الجاني ونسوا الضحية، واستكثروا العقوبة وغفلوا عن قسوة الجريمة، أليس المعتدى عليه أَولى بالعطف والشفقة والرحمة من ذلك المُجرم الظالم؟ ولو أنهم قرنوا العقوبة بالجريمة، ولاحظوا الاثنين معا، لخرجوا موقنين بالعدالة الربانية في العقوبات الشرعية ومساواتها لجرائمها مساواة دقيقة، فالجزاء من جنس العمل، وما ربك بظلام للعبيد، فلا ظلم ولا اعتداء ولا قسوة في العقوبة الشرعية، بل الظلم ترْك المجرم دون عقوبة رادعة له.

ـ إن القسوة المصاحبة للعقوبة لا يراد منها الانتقام والتشفّي من المُجرم، وإيقاع الأذى به، وإنما استصلاحه وتأديبه، بدليل أن لوليّ الأمر العفو عن تعزير من استحق التعزير إذا رأى المصلحة في ذلك، كما ورد الترغيب في

العفو عموما، ففي الحديث المرفوع: "تعافوا الحدود فيما بينكم.. "، وجاء في حديث أبي أمامة: أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إني أصبتُ حدًا فأقمه عليّ، قال: "توضأتَ حين أقبلتَ"؟ قال: نعم، قال: "هل صليتَ معنا حين صلينا"؟ قال نعم؟ قال: "اذهب، فإن الله تعالى قد عفا عنك"، مما يعني أن القسوة ليست مقصودة بذاتها في العقوبات، وإنما هي وسيلة لتقويم النفس الإنسانية وكفها عن الانحراف، فالإسلام لا يتربّص بالمجرم لكي يوقع عليه العقاب، ولا ينتظر عثرته ليبطش به أو ينال منه، وإنما أمَر بالستر عليه لعله يتوب أو يستغفر، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم قوله: "اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها، فمن ألَمَّ فليستتر بستر الله عز وجل، فإنه من يبْدِ لنا صفحته نُقِمْ عليه الحد"، وفي حديث آخر قال لأحد أصحابه: "لو سترتَه بثوبك لكان خيرا لك"، وقال الشافعي: "ونحن نُحبّ لمن أصاب الحدَّ أن يَستتر، وأن يتقي الله ولا يعود لمعصية الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده".

ـ إن القسوة ليست مصاحبة لكل العقوبات والحدود، وإنما لجرائم محدودة، كالقتل والسرقة والزنا والبغي والحرابة ونحوها، وهناك كثير من الانحرافات، كالكذب والتطفيف وشهادة الزور ونحوها، اكتفى الإسلام بأن أنذَر مرتكبيها وترَك تقدير عقابهم الدنيوي للقاضي حسبما يراه كافيا في التأديب والتعزير.

ـ تعتبر الحدود والعقوبات كفارات وجوابر لأصحابها؛ ما يعني أنها رحمة بهم، ولا يليق عندئذ اتهامها بالقسوة، لأن الرحمة والقسوة لا يجتمعان، وفي الحديث: "من أصاب منكم حدًا فعُجّلت له عقوبته فهو كفارته"، وقال ابن القيم: "بلغ من رحمة الله تعالى وَجُوده أن جعل تلك العقوبات كفارات لأهلها؛ وطهرة تزيل عنهم المؤاخذة بالجنايات إذا أقدموا عليه، ولا سيما إذا كان منهم بعدها التوبة النصوح والإنابة، فرحمهم بهذه العقوبات أنواعا من الرحمة في الدنيا والآخرة".

ـ إن سلّمنا أن العَقوبة مشددة فإن أدلة إثباتها كذلك مشدد فيها، وهناك شروط متعددة ودقيقة لا بد من توافرها في الجاني والجريمة كي تُوقَع العقوبة على المتهم، فلا يتم تطبيق العقوبة إلا بمجموعة من الضمانات التي تَحمي الحقوق الأساسية للمحكوم عليه، وأهمها: شرعية العقوبات، والمساواة، والتدخل القضائي، والقابلية للرجوع والمراجعة فيها، واحترام كرامة المحكوم عليه ... إلخ، وهؤلاء المتهجمون على العقوبات الشرعية وقسوتها يسمعون بها مجرد سماع دون أن يدرسوها دراسة متأنية منصفة متجردة، وإلا لو فعلوا ذلك لما وَسعهم إلا الإكبار لهذه الشريعة في أحكامها العادلة.

ـ القسوة قد توجد في القوانين الوضعية، فرُبَّ كلمة لا نرى بها بأساً، يتفوه بها فرد من رعايا دولة تطبق قانوناً وضعياً؛ تواجهه بسببها عقوبة الإعدام! ورُبَّ فاحشة عظمى يجب مكافحتها، تشيع بين رعايا تلك الدولة؛ فلا يؤبه بها، ولا يلتفت إليها بأي نقد أو استنكار! فإذا كانت كل أمّة تسنّ قوانينها حسب مبادئها وفلسفتها التي تنظر بها إلى الإنسان والكون والحياة، أفلا يحق لخالق الكون والإنسان والحياة أن يشرّع هو الآخر قوانين الردع والزجر بما يتفق مع مقاصد شريعته ويتسق مع نظام كونه ويحقق مصالح عباده؟!

ـ المُجرِم الذي يزعم أنه يفرّ من قسوة العقوبة الشرعية سوف ينالُ عقوباتٍ أقسى مما يناله في ظل الحدود الإسلامية؛ لأن المجتمع يقِف أمامه لمنْعه من جريمته، وبالتالي فإنه يَستخدم ذكاءه وقوته في صورة أقسى ضد المجتمع، فينال المجرمُ من صراعه مع المجتمع أضعافَ العقوبة الإلهية، ويلاقي المجتمعُ ألوانًا من المتاعب الجسمية والنفسية، إلى جانب أعداد الضحايا، وفقدان الأمن.

ـ القائلون بقسوة العقوبات الشرعية غالبًا ما يكونون في غيبوبة من التأمّل العقلي! فكيف لا يلتفتون وينظرون إلى النتائج الإنسانية الحميدة التي تنبسط في ساحة المجتمع كله بتطبيق هذه الحدود؟ وأعجب من هذا أنهم يعبّرون عن مشاعر الرحمة في نفوسهم متخيّلين قسوة الحدود، ثم لا يستشعرون أية رحمة بالمجتمعات التي تشيع فيها الفرصنة وينتشر الإجرام وتزهق فيها الأرواح رخيصة طمعاً في تمزيق عِرْض أو الوصول إلى مال! كل هذه الشراسة المتوحشة لا تحرك قلوب أولئك الذين يمثّلون الرحمة، حتى إذا ما أقبلت الشريعة تلوّح بعصا التأديب التي لا بديل عنها لتقي المجتمع من الفوضى والوحشية، وتَغرس في مكانها الأمن والنظام؛ استشعَروا القسوة فجأة، وتذكروا الرحمة على حين غرّة!

ـ إن الذين يتهجمون على الإسلام بالقسوة في العقوبات، نجد في قوانينهم الوضعية من القسوة ما يعادل الجزاءات المقررة في الشريعة، بل قد تكون بصورة أقسى وأنكى بكثير مما هي عليها في الشريعة، فما جرى في محاكم التفتيش مثال واضح على مدى القسوة التي كانت تنتهجها القوانين الأوروبية في عقوباتها في القرن الرابع عشر الميلادي! وهي أصلا لا تليق بإنسانية الإنسان وكرامته! ثم لا تُجدي في الكف عن الجريمة وانحسارها! وفي كل الحالات هم مجبورون بالتغاضي عما لديهم من إسقاط إنسانية الإنسان وإهدارها وليس مجرد انتهاكها! فينطبق عليهم المَثل القائل: "رَمَتْني بدائها وانسلّتِ"!

برامج مجلس الدعوة الإسلامية بالفلبين لرعاية المسلمين وتحسين حياتهم

إعداد: الدكتور محمد الخضر سالم

بمناسبة مرور أربعين عاماً على تأسيس مجلس الدعوة الإسلامية في الفلبين تسلمت مجلة الرابطة تقريرًا شاملاً عن مناشط المجلس. وهو يعتبر منظمة دينية غير حكومية تعنى برعاية حقوق المسلمين في دولة الفلبين، بالإضافة إلى أنشطة وبرامج أخرى مثل إصدار شهادات اللحم الحلال. وقد أصدرت المحكمة العليا في الفلبين قراراً بشأن شهادات اللحم الحلال، واعتمادها، واعتبرت أن مجلس الدعوة الإسلامية في الفلبين هو الهيئة التي تقرر ما هو حلال وما هو حرام في الإسلام، بالنسبة للمسلمين في الفلبين.

صدر قرار المحكمة العليا رقم 153888 بشأن الالتماس الصادر من مجلس الدعوة الإسلامية في الفلبين بشأن اعتماد شهادات اللحم الحلال، وكل ما يتعلق بمكونات الأكل والشرب المباحة للاستهلاك المشروع لمسلمي الفلبين، وذلك حسب بنود دستور جمهورية الفلبين، وكان ذلك في 9 يوليو من عام 2003م. وحسب ما نص عليه القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة فالطعام الحلال، هو الذي تسمح به الشريعة الإسلامية، ومن شروطه ألا يحتوي على مكون، أو منتج نجس، وألا يحتوي على مكمل نجس، وألا يشمل عند تحضيره، أو معالجته، أو تصنيعه، أدوات أو أجهزة ملوثة ومنجسة.

وأن تتماشى شهادات الحلال مع الاشتراطات الدينية التي يصدرها علماء المسلمين في جميع انحاء العالم، وتعتبر مقبولة علمياً كشهادة حلال، من حيث ضمان أصلها، وجودتها، وكامل نظافتها، لكي تصلح للاستهلاك البشري للمسلمين.

وللتأكد من مطابقة تلك الاشتراطات، يجب أن تُعتمد المنتجات، وتضمن سلامتها، وتصديقها، من قبل هيئة الطعام الحلال.

وبذلك أصبح مجلس الدعوة الاسلامية معترفًا به من قبل المجتمع الإسلامي العالمي، ممثلاً في رابطة العالم الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، والبنك الإسلامي للتنمية في جدة، ومنظمة التعاون الإسلامي، وجمعية الدعوة الإسلامية في ليبيا، والمنظمة الإسلامية في لندن، ومجلس الدعوة الإقليمية الإسلامية في جنوب شرق آسيا والمحيط الباسيفيكي، بالإضافة إلى عضوية مجلس الدعوة الإسلامية في مجلس الحلال العالمي. وهذا يعني أن كل طعام مُصنَّع يحمل شعار أو ختم مجلس الدعوة الإسلامية، فإن هذا المنتج حلال حسب شروط مجلس الدعوة الإسلامية، ويحمل اعتماد، وشهادة الحلال الصادرة من مجلس الدعوة الإسلامية. هذا مما جعل صادرات الفلبين تصل الى الشرق الأوسط، وكثير من البلدان الإسلامية، وبالتالي ارتفع دخل البلاد من الصادرات، بعد أن كان منخفضاً لعدم قبوله في البلدان الإسلامية.

أما الرسالة التي يطلع بها مجلس الدعوة الإسلامية في الفلبين، فتتمثل في رفع مستوى الحالة الاقتصادية للمسلمين في البلاد، وتحسين المستوى التعليمي، والوضع الاجتماعي لسكان الفلبين، وذلك من خلال توفير الحياة

الكريمة للمحتاجين والفقراء في المجتمع الفلبيني، وتقديم البرامج الترفيهية، بالتعاون مع وكالات التنمية.

ورؤية مجلس الدعوة الإسلامية، هي خلق تفاهم أفضل من خلال الاحترام المتبادل، والمساعدة، والتعاون فيما بين الناس، واضعين في الحسبان القيم والهدي المنزل من عند رب عظيم.

ومن إنجازات مجلس الدعوة الإسلامية في الفلبين، تشييد مسجد السلام في عام 1980م بالتعاون مع جمعية المعتنقين للإسلام، الذي تطور فيما بعد بالتعاون مع مديرية الشؤون الإسلامية في الفلبين ليصبح مركزاً اسلامياً ثقافياً، يضم المسجد، والمستشفى الإسلامي، ومركز الدعوة، والجامعة الإسلامية في منطقة تاندق سورا في الفلبين.

ففي عام 1983 أنشأ الإمام عبد الله عبد الغني مدرسة لتعليم اللغة العربية في تانداق سورا. ثم تأسست مدرسة ثانوية مع مختبراتها في ماتي سيتي دافاو اورينتال، وقد افتتحها أتي رحمن لينزاق. وهي تهدف إلى التعليم الإسلامي في بناء الأمة، وذلك كما جاء القرآن العظيم " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون' (سورة آل عمران آية 104).

وفي عام 1984 كان أول احتفال بعيد الفطر بمركز الدعوة في مدينة كويزون. وعقد سمنار في مجلس الدعوة الإسلامية للجمعية العمومية في دافاوا سيتي في 1986م، كما عقدت أول محاضرة إسلامية في باترازا في بلوان. وانتظم أول برنامج للإرشاد الديني عبر المذياع في 1986م وحتى عام 1998م. ثم انتظمت برامج خدمات المجتمع والرعاية الأولية، ومن ذلك خدمات توزيع الطعام للأسر المشردة، والأفراد الذين تأثروا بالفيضانات والحروب، والأعاصير، في ماندناو وغيرها، وخدمات الرعاية الطبية في الضواحي البعيدة، وكذلك خدمات المحافظة على البيئة وحمايتها. وكان هناك برنامج العيش الكريم للفقراء، والمهمشين في المجتمع، وبرنامج توفير المياه ومجاري الصرف الصحي، وبرنامج التمويل الأصغر للمستحقين.

ومن الأنشطة والفعاليات قيام مجلس الدعوة الإسلامية في الفلبين بتوزيع الطعام، والقربات المذبوحة وفق الشريعة الإسلامية. وفي عام 1999 أقيمت ندوة عن الإسلام، والسلام العالمي، برعاية مجلس الدعوة الإسلامية في فندق مانيلا حضرها يوسف اسلام من المملكة المتحدة، والدكتور مهراني أمين المجلس العالمي للشباب المسلم. وفي عام 2000 قام مجلس الدعوة الإسلامية بتوزيع الإغاثة في ميندناو.

كذلك من الخدمات أيضاً، خدمة التعليم، والمنح الدراسية، حيث يقدم مجلس الدعوة الإسلامية منحًا دراسية للطلاب المؤهلين في كل من الهندسة والطب، وغيرها منذ العام 1986. كما يقدم البنك الإسلامي للتنمية خدمات تعليمية عبر مؤسسة الأمناء التعليمية، كما تقدم الرعاية اليومية، وتدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية، والثقافة. ايضاً يقدم مجلس الدعوة الإسلامية برنامجًا لتعليم القراءة، والكتابة العربية. كذلك كان مجلس الدعوة الإسلامية يقوم بجولات للمشاركة في معرض الطعام الحلال في كل من كوالا لمبور بماليزيا، وجنوب إفريقيا. وشارك في اجتماع الجالية المسلمة هناك، وقام بزيارة جناح النساء في المجلس الإقليمي للدعوة في جنوب شرق آسيا والمحيط الباسيفيكي، وفي كوالالمبور بماليزيا، وشارك في حلقة نقاش حول مواصفات الطعام الحلال في مدينة مكاتي. كما شارك في اجتماعات المجلس الإقليمي للدعوة في جنوب شرق آسيا والمحيط الباسيفيكي في نيوزلندا.

وفي عام 2002 أرسل مجلس الدعوة الإسلامية في الفلبين بعثة طبية إلى مدينة دافو. كما اضطلع بتدريب الائمة في مجال عقد النكاح وجميع الأنشطة الدينية الأخرى. كذلك شارك مجلس الدعوة الإسلامية في مؤتمر الحلال العالمي المقام في مدينة كيب تاون بجنوب إفريقيا في عام 2005. ووزع مجلس الدعوة الإسلامية سلال الغذاء لحوالي 80 طفلاً من الأيتام في كوتاباتو في عام 2007. أيضاً شارك مجلس الدعوة الإسلامية في توزيع لحوم الأضاحي الذي كانت ترعاه الندوة العالمية للشباب الإسلامي في عام 2009م. كما رعى مجلس الدعوة الإسلامية في الفلبين ونفذ توزيع سلال الغذاء في شهر رمضان في عام 2014 وعام 2015 في كل من ميترو مانيلا للمسلمين وغير المسلمين. ورعى مجلس الدعوة الإسلامية في الفلبين مؤتمر القمة العالمي للطعام الحلال في مانيلا في 2017م.

العنصرية..

ومتى يخرج العالم من سياسة الكراهية؟

بقلم: محمد سهيل بن عمر
كالكوت ـ الهند

يقارن المندوب الرياضي لجريدة الجارديان بارني روني بين مونديال البرازيل ومونديال قطر، فيقول إنه احتاج في البرازيل إلى ركوب (17) طائرة للتنقل بين ملاعب في مدن بعيدة، في حين أن ملاعب قطر كانت في أماكن لم تحوجه للسفر والانتقال. هذا ما قاله أيضًا مذيع كرة القدم جون سترونغ من شركة فوكس عن تجربته في كأس العالم بروسيا، إذ احتاج للسفر ساعات طويلة لتغطية مباراة.

لم يجد المتفرجون ولا الإعلاميون مشقة في متابعة المباريات التي كانت تجري في مساحة (35) كيلومترًا مربعاً فقط. يقول جون جامبين الذي حضر مونديال قطر: "أتولى تغطية المونديال منذ كأس العالم الذي جرى في إيطاليا في عام ١٩٩٠م، ولم أجد تسهيلات وتجهيزات أحسن من التي وجدتها في دولة قطر، إذ لم تزد أطول فترة قضيتها للوصول إلى وجهتي على (40) دقيقة".

الاستعدادات التي أجرتها قطر لكأس العالم ملموسة ولا تخفى على أحد، ومع ذلك تعرضت قطر لحملة إعلامية سلبية، وقد بدأت الحملة منذ أول يوم أعلن فيه عن اسم قطر لاستضافة المونديال في 2022م.

في ٢٠١٤/٢/١٨ كتب نيك ميلر تقريرًا في صحيفة الجارديان عن "ستة أسباب تدعو إلى إبعاد قيام المونديال من قطر"، وتسابقت بعد ذلك وسائل الإعلام الدولية في تغذية هذه الحملة التي ركزت على إبراز الدولة المضيفة للمونديال بأنها ضد حقوق الإنسان ولا تحترم الحريات، وذهبت إحدى الصحف الأوروبية إلى رسم لاعبي كرة القدم في هذه الدولة وهم يحملون السلاح، وتصويرهم على أنهم إرهابيون، وشملت الانتقادات الثقافة العربية والإسلامية.

واضطر رئيس (الفيفا) إلى التصريح بتكذيب المعلومات التي تبثها وسائل الإعلام، واتهمها بتلفيق واختلاق الأخبار الكاذبة.

ولم تلبث الحملة أن تتخذ بعدًا آخر بإثارة قضايا (النوع) وحرية شرب الخمر، غير أن الدولة المستضيفة تمسكت بثقافتها وتقاليدها، ومنع بعض المظاهر في الملاعب. وبرزت القيم الدينية في تلاوة القرآن الكريم عند افتتاح المونديال وإبراز إقامة الصلوات وإظهار المشاعر الدينية، مما عكس صورة حضارية للعالم.

كثير من الصور التي بثتها شاشات التلفزيون عبرت عن رمزية للرسالة الإيجابية التي تحملها الرياضة العالمية، وأنها تستطيع تعزيز أواصر التعاون والتفاهم بين الثقافات، تجسد هذا المعنى الإنساني في صورة الممثل مورغان فريمان مع غانم مفتاح. جاءت الصورة مثالا للتعبير عن التضامن الإنساني ونبذ التفرقة على أي أساس عنصري أو غيره.

وقد بعث غانم مفتاح رسالة قوية للعالم عبر قراءته الآية: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير". فليس هناك من فَرق وأي امتياز بسبب اللون أو الغنى أو المعتقدات، فالناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم سواء، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود.

حتى في ميدان السباق الكروي، أفرز المونديال أن الفرق العربية والإفريقية، قادرة على تحقيق الإنجازات، وما تفوق الفريق السعودي على الأرجنتين حاملة الكأس إلا صورة رمزية أخرى على أن البلاد المسلمة قادرة على إنجاز البطولات وتحقيق التقدم في المجالات كافة.

إن فوز تونس على فرنسا، وفريق الكاميرون على البرازيل، ووصول المغرب إلى قبل النهائي تعطي دلالة على أن التقدم ممكن للجميع، والوصول إلى القمة متاح لكل من يعمل بجد وتخطيط.

بل إن إنجاز مونديال على هذا النحو من التنظيم والجودة، يمنح الأمل للشعوب المسلمة أنها موعودة بالتقدم في الصناعة والزراعة والإنتاج، وأن التضامن العالمي في مواجهة التحديات البشرية مثل مشكلات المناخ وقضايا الأسرة والأخلاق والأمن، كل ذلك متاح وممكن، ما دامت هذه الشعوب قد تمكنت من الوجود في حيز مكاني واحد، وتعاونت ونبذت العنصرية والتعصب المقيت، وأعلت قيم التنافس الشريف.

وقد يزداد الإرجاف واختلاق الأخبار الكاذبة ونشر الخوف من الإسلام، بل قد يزداد التدخل السافر من أجل إخضاع الشعوب لمطامع عالمية، لكن مشاركتنا العالم تحت راية الأمم المتحدة على أساس العيش المشترك والتضامن الإنساني، كفيلة بحل المعضلات، وإخراج العالم من العنصرية ومن سياسة الكراهية.

مشاركتنا العالم تحت راية الأمم المتحدة على أساس العيش المشترك والتضامن الإنساني، كفيلة بحل المعضلات، وإخراج العالم من العنصرية ومن سياسة الكراهية

مقال

النفس والجسد في القرآن الكريم

بقلم: أ.د. محمود الذوادي – تونس

يجوز القول إن حديث آيات القرآن الكريم عن الجانبين النفسي والجسدي للإنسان تبدأ في أولى السور القرآنية. فسورة قريش تشير بوضوح إلى ذلك "فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف" (سورة قريش 4-3). والآيات القرآنية التي تفصل القول في هذا الصدد كثيرة، فهي ترسم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة صورة شفافة لمعالم رئيسية مكونة للذات البشرية مثل الجسد ذلك الجانب الطيني/ المادي من الإنسان والروح التي تبث الحياة في الجسد. يطنب القرآن في ذكر النفس والقلب والعقل والروح والسمع والبصر وما نسميه (منظومة الرموز الثقافية) وهي: (اللغة والدين والتفكير والعلم والقيم والأعراف والقوانين والأساطير). تمثل تلك المعالم أبجدية طبيعة الإنسان هذا الكائن الفريد على وجه الكوكب الأرضي الأمر الذي جعل الله سبحانه وتعالى يشرفه وحده بخلافته له على الأرض: "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ... الآية" (سورة البقرة 30).

البعد النفسي الروحي والجسدي

تؤكد الآيات القرآنية في جميع السور على الأهمية القصوى للإيمان بوحدانية الله كمعلم أساسي لكسب رهان البعد النفسي المستقيم في الشخصية البشرية المؤمنة التي تمارس شعائر دينية مختلفة مثل الصيام والصلاة اللذين يسبغان منافع لكل من الجسد والحالة النفسية للأفراد. فالصلاة تتم عند القيام بشيئين رئيسيين ألا وهما: الوضوء ومناسك الصلاة النفسية الروحية والرياضية المتمثلة في الركوع والسجود وقراءة آيات من القرآن الكريم والقيام بشعائر الانفصال عن كل

شيء يكدر صفو العزلة عن منبهات العالم الخارجي القريبة والبعيدة وما بينهما. يصف الله الصلاة المثالية بأنها تكسب المؤمن سلوكاً نفسياً سوياً: "إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر" (سورة العنكبوت 45) و"وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة" (سورة الأنبياء 73)، و"يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة" (سورة البقرة 153). أما الصيام فينظر إليه القرآن على أنه سبيل للتقوى التي هي قمة النفس المطمئنة في الرؤية القرآنية "يا أيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم" (سورة الحجرات 13). ومنه "يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيامُ كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون" (سورة البقرة 183).

معاني النفس في القرآن الكريم

لكلمة النفس في الآيات القرآنية معانٍ مختلفة. نقتصر في هذا المقال القصير على ذكر البعض منها فقط ثم الإشارة إلى معالم مرتبطة بالعلاقات النفسية بين البشر في الرؤية القرآنية. لا يمثل ذلك إلا غيضا من فيض من مفاتيح علم النفس القرآني الواسع الأبعاد والآفاق والرؤى العميقة والبصيرة لخفايا النفس البشرية.

النفس ككائن حي أو كشخصية

تُستعمل كلمة النفس في كثير من الآيات القرآنية بمعنى الكائن الحي، كما تؤكد ذلك الآية "كل نفس ذائقة الموت" (آل عمران 185). من ناحية أخرى، تعبّر مفردةُ النفس في عددٍ كبيرٍ من الآيات القرآنية عن المعنى الحديث لمصطلح الشخصية في علم النفس المعاصر الذي يعرف الشخصية البشرية بأنها ذلك العنصر الثابت في سلوك الفرد والذي يتصف به ويميزه عن غيره من الناس عبر الزمان والمكان. وبعبارة أخرى، يحتضن مفهوم الشخصية البشرية معلما نفسيا للفرد. ومن ثم، فمصطلحا "النفس اللوامة" و"النفس الأمارة" الواردان في القرآن الكريم يصفان نمطين من الشخصية البشرية تتميز كل منهما بتوجهات وسلوكيات إيجابية أو سلبية خاصة بها.

أهمية العلاقات النفسية

تشير آيات قرآنية كثيرة إلى المنزلة العالية للعلاقة النفسية الجيدة مع الآخرين. فالقرآن يتحدث عن العلاقة النفسية الطيبة التي يتصف بها الرسول صلى الله عليه وسلم مع قومه فيقول: "... ولو كنتَ فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر..." (آل عمران 159). وتُختَم آيات سورة التوبة بآية العلاقة النفسية الجيدة التي تحملها شخصية الرسول نحو المؤمنين: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم" (التوبة 128). أما آية "ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم" (فصلت 24)، فهي تشير بالبنان إلى قاعدة نفسية صلبة العود تمثل ركنا رئيسيا من علم النفس للعلاقات البشرية ألا وهو السلوك الحسن والطيب مع الناس الذي يحوّل حتى العدو إلى وليّ حميم. ومن ثم، تدعو الآيات الأولى من سورة الحُجرات المؤمنين لكي يتبنوا سلوكا حسنا راقيا حمالا لاحترام الرسول وحسن التعامل معه: "إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم. إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون. ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم" (الحجرات (5-3).

فما ذكرناه في السطور السابقة ليس إلا شيئا قليلا من علم النفس القرآني الذي حظي بتأليف العديد من الكتب والبحوث، خاصة بعد النصف الثاني من القرن العشرين، نذكر منها ثلاثة عناوين فقط: من علم النفس القرآني للدكتور عدنان الشريف 1987، والدراسات النفسانية عند العلماء المسلمين للدكتور محمد عثمان نجاتي 1993، والشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي للدكتور نزار العاني 1998.

القلب والعقل والنفس البشرية

تحتضن النفس البشرية القلب والعقل اللذين يوجهان سلوكها. استعمل القرآن فعل (عقَل) في صيغ مختلفة (49) مرة ولم يستعمل كلمة الْعَقْل كاسم. بينما استعمل القرآن كلمة قلب كاسم 122 مرة. يركز كتابُ (مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة لمحمد علي الجوزو) على دراسة ظاهرتيْ العقل والقلب في الإنسان. يعرف المؤلف العقل كأداة تأمل وإدراك. أما القلب، فهو قوة وراء العقل ذات فهم عميق لكسب اليقين. أي أنه عقل بصير أو رادار يمكن أن يدرك الزلات التي يمكن أن يقع فيها العقل. إذن، فالإنسان ليس عقلا جافا بل هو عقل وقلب أو قلب يعقل "أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" (الحج 46)، فالقلب يملك القدرة على التأليف بين شيء من التعقل وشيء من التعاطف. بعبارة أخرى، فالقلب هو عقل متوازن.

النفوس البشرية وأمراض قلوبها

يأتي ذكر كلمة نفس في المفرد وغيره 295 مرة في القرآن، وتُذكر كلمة قلب في المفرد وغيره 122 مرة في آيات القرآن الكريم. يستعمل القرآن كلمة "مرض" مع كلمة قلوب 12 مرة ولا يستعملها مع كلمة نفوس. يرى

بعضُ المفسرين أن لكلمة "مرض" في القرآن معاني مختلفة: ضعف أو شك يمنعهم من التصريح بالكفر أو الإيمان أو حسد المنافقين. تفيد هذه المعاني سمات تندرج في مواصفات للمعالم النفسية لشخصيات المعارضين للدعوة الإسلامية التي نادى بها الرسول العربي محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم. وهكذا، يتجلى كأن للقلوب في القرآن لمسات نفسية تتجاوز وظيفة مجرد ضخ الدم في أجساد البشر كما يغلب على تبني رؤية العلوم الحديثة. يرى الجوزو أن القلب في القرآن والسنة يبدو متميزا عن العقل، إذ هو عقل ملهم ومبصر. إنه عقل يشعر من أعماق الذاتية الإنسانية فيدرك حقائق الأشياء بنور إلهي. من ثم، فهو مكان الوحي والإيمان والتقوى والعلم. فهو أعظم عضو في النفس البشرية، إذا صلح كسب الجسد كله عينَ الصلاح. فهو، إذن، المَلِكُ ومملكته هي النفس البشرية كما يعبر الجوزو عن ذلك في صفحات كتابه.

النفس المستقيمة في أحضان الرموز الثقافية

تؤكد آيات قرآنية كثيرة على أن الصحة النفسية للبشر لا تتم دون اكتساب شخصياتهم لمجموعة من القيم الثقافية يأتي في طليعتها الإيمان بوحدانية الله. فعينة الآيات التالية تفصح عن ذلك بوضوح وشفافية كامليْن: مثلاً الآية: "إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" (النساء 48)، والآية: "ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق" (الحج 31)، "وإذ قال لقمانُ لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم" (لقمان 13).

يتحدث القرآن كثيرًا عن العمل الصالح بوصفه سمة مركزية للنفس المؤمنة. ومن ثم، جاء اقتران الإيمان بوحدانية الله بسلوك العمل الصالح في عدد كبير من آيات القرآن الكريم: "فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم" (الحج 50)، و"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يُرزقون فيها بغير حساب" (غافر 40). يبرز القرآن أن سمة التقوى هي أسمى صفات الشخصية الإنسانية السوية. كما أن المساواة التامة بين جميع البشر هي قيمة ثقافية عليا في الرؤية القرآنية بغض النظر عن اللون والعرق ونوعية الشعر وطول وقصر القامة والمكان الجغرافي والخلفية الثقافية. أي أن الشخصية البشرية تكون سليمة نفسيا عندما تتبنى بقوة قيمة المساواة الكاملة بين الأجناس البشرية. فضُعف أو فقدان هذه القيمة الثقافية لدى العديد من رواد العلوم الاجتماعية الغربية سلوك منكَر في الرؤية المعرفية الإسلامية. ومن حسن الحظ أن هناك معالم صاعدة منذ عقود من العلوم الطبيعية والاجتماعية تبشر بتغيير في العمق لصالح المساواة بين الأجناس البشرية في كسب رهان الإنسانية الكاملة بغض النظر عن الاختلافات السطحية بينها مثل لون البشرة وطول أو قصر القامة والقيم الثقافية: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير" (الحجرات 13).

قطبا النفس البشرية

يتحدث القرآن الكريم بوضوح عن طبيعة النفس البشرية الحمّالة لبُعديْ الخير والشر، وبالتالي فهي ظاهرة تتصف بالجدلية والتناقضات في سلوكياتها الأمر الذي يضفي عليها المسؤولية في سلوكياتها المتعددة. يقول الله تعالى: "وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يُرى" (النجم 39). وفيها تعبير عن البعدين المتناقضين في عمق طبيعة النفس البشرية، ويقول عز من قائل: "ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها" (الشمس(10-7). يؤهل هذان البعدان المتعاكسان النفسَ البشرية لكي تكون ظاهرة تتسم بالحركية الدائمة والحيوية. ويمكن اعتبار حضور هذيْن البعدين القويّين في صُلب النفس البشرية سمة بارزة يتميز بها الإنسان عن بقية كائنات الأجناس الحية الأخرى. كما يتميز أيضا عنها في المقام الأول بتسلحه بمنظومة البعد الثالث الذي تمثله الرموز الثقافية: اللغة والفكر والدين والعلم/المعرفة والقيم والأعراف الثقافية والأساطير...أي أن الإنسان في تصورنا الأكثر دقة لطبيعة الكائن البشري ليس جسدا وروحا فقط كما هو شائع في القديم والحديث، وإنما هو (جسد + روح + رموز ثقافية/ البعد الثالث). ولا يخفى ما لهذا البعد من دور في هداية النفس البشرية إلى السلوك السوي أو إلى السلوك غير المستقيم.

محمد أسد

مستشرق نمساوي في رحلته إلى الهداية

بقلم: أميرة الشناوي السيد ـ مصر

يعد ليوبولد فايس، أو «محمد أسد» بعد إسلامه نموذجاً رائعاً للباحثين عن الحقيقة، وواحداً من عشاق المعرفة ونزاهة الفكر والرأي، وطرازاً نادراً من الرّحالة في عالم الأرض، وفي عالم الفكر والروح. وقد ارتبط ببلاد الحرمين الشريفين ارتباطاً وثيقاً، فعشق المملكة العربية السعودية وأحب أهلها، واعتبرها موطنه، وصار من أتباع الملك عبد العزيز ومن أخلص خلصائه.

وكان اعتناقه للإسلام عام (1926م)، إعلاناً مقنعاً بقدرة الإسلام على استقطاب الحيارى الذين يبحثون عن الحقيقة. وقد جاء إسلامه نتيجة لسنوات عديدة من التجول في العالم الإسلامي والاختلاط بشعوبه، والتعمق في ثقافته، واطلاعه الواسع على تراثه، بعد إجادته للغتين العربية والفارسية.

رحلته إلى الإسلام

يقول محمد أسد عن بداية رحلته في الشرق الإسلامي: في سنة (1922م) غادرت موطني النمسا للسفر في رحلة إلى إفريقيا وآسيا لأعمل مراسلاً خاصاً لبعض الصحف الأوروبية الكبيرة. ومنذ تلك السنة وأنا أكاد أقضي كل وقتي في بلاد الشرق الإسلامية. وكان اهتمامي بادئ الأمر بشعوب هذه البلاد التي زرتها، وهو ما يشعر به الرجل الغريب.

ورأيت أول ما رأيت مجتمعاً يختلف في مظهره كل الاختلاف عن المجتمع الأوروبي. وبدأت منذ الوهلة الأولى أحس بميل ينساب في نفسي، ويزداد نحو ذلك اللون الهادئ

المستقر من فلسفة الحياة، بل أقول الحياة الإنسانية إذا قورنت بالأسلوب الميكانيكي الموسوم بالسرعة في حياة الأوروبيين.

هذا الميل بدأ يوجه شعوري تدريجياً إلى دراسة هذا الاختلاف. وبدأت أهتم بدراسة التعاليم الدينية في الإسلام على أنني في ذلك الوقت لم أشعر بدافع قوي يكفي ليجذبني إلى اعتناق الإسلام. إلا أنني بدأت أرى

صورة حية لمجتمع إنساني متطور يكاد يخلو نظامه من التناقضات الداخلية، ويتسم بأوفر قسط من الشعور الأخوي الصحيح.

وقد ظهر لي حقيقة واضحة مع ذلك: هي أن حياة المسلمين اليوم حياة بعيدة كل البعد عن الحياة المثالية التي يمكن أن تحققها لهم تعاليم الإسلام. فكل ما كان في الإسلام من قوى دافعة ومن حركة، انقلب بين المسلمين إلى كسل وجمود، وما كان فيه من كرم واستعداد لبذل الروح أضحى بين المسلمين اليوم ضيقاً في الأفق العقلي، وحباً للحياة السهلة الوادعة. وقد تملكتني الحيرة عندما رأيت ذلك، ورأيت التناقض العجيب بين ما كان في ماضي المسلمين وبين حاضرهم، فحفزني ذلك إلى زيادة العناية بهذا اللغز الذي رأيته.

وقبل إسلامه كان ليوبولد فايس دائم التساؤل والبحث عن الحقيقة. وكان يشعر بالأسى والدهشة لظاهرة الفجوة الكبيرة بين واقع المسلمين المتخلف وبين حقائق دينهم المشعّة التي قرأ عنها. وفي يوم راح يحاور بعض المسلمين منافحاً عن الإسلام، ومحمّلاً المسلمين تبعة تخلفهم عن الشهود الحضاري، لأنهم تخلفوا عن الإسلام ففاجأه أحد المسلمين بهذا التعليق: "فأنت مسلم ولكنك لا تدري". فضحك فايس قائلاً: "لست مسلماً ولكنني شاهدت في الإسلام من الجمال ما يجعلني أغضب عندما أرى أتباعه يضيعونه". وهذه الكلمة هزت أعماقه، ووضعته أمام نفسه التي يهرب منها، وظلت تلاحقه من بعد حتى نطق بالشهادتين.

وجاء إسلام محمد أسد رداً حاسماً على اليأس والضياع، وإعلاناً مقنعاً على قدرة الإسلام على استقطاب الحائرين الذين يبحثون عن الحقيقة. يقول عبد الوهاب عزام عن إسلامه: "إنه استجابة نفس طيبة لمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب، وإعجاب قلب كبير بالفطرة السليمة، وإدراك عقل منير للحق والخير والجمال".

الطريق إلى مكة

ويعتبر كتاب الطريق إلى مكة من أهم الكتب التي ألفها محمد أسد، سطر فيها رحلته إلى الإسلام وإلى الجزيرة العربية مهبط الوحي، فنجده يقول في هذا الكتاب عن رحلته إلى الإسلام: "جاءني الإسلام متسللاً كالنور إلى قلبي المظلم، ليبقى فيه إلى الأبد، والذي جذبني إلى الإسلام هو ذلك البناء العظيم المتكامل المتناسق الذي لا يمكن وصفه، فالإسلام بناءٍ تام الصنعة، وكل أجزائه قد صيغت ليُتمّ بعضها بعضاً. ولا يزال الإسلام بالرغم من جميع العقبات التي خلّفها تأخر المسلمين أعظم قوة ناهضة بالهمم عرفها البشر، لذلك تجمّعت رغباتي حول مسألة بعثه من جديد".

ويقول: "إن الإسلام يحمل الإنسان على توحيد جميع نواحي الحياة، إذ يهتم اهتماماً واحداً بالدنيا والآخرة، وبالنفس والجسد، وبالفرد والمجتمع، ويهدينا إلى أن نستفيد أحسن الاستفادة مما فينا من طاقات. إنه ليس سبيلاً من السبل، ولكنه السبيل الوحيد، وإن الرجل الذي جاء بهذه التعاليم ليس هادياً من الهداة ولكن الهادي". ويضيف: "إن الرجل الذي أُرسل رحمة للعالمين، إذا أبينا على هداه، فإن هذا لا يعني شيئاً أقل من أننا نأبى رحمة الله".

ويقول: "إن الإسلام ليس فلسفة ولكنه منهاج حياة، ومن بين سائر الأديان نرى الإسلام وحده، يعلن أن الكمال الفردي ممكن في الحياة الدنيا... ومن بين سائر الأديان نجد الإسلام وحده يتيح للإنسان أن يتمتع بحياته إلى أقصى حد من غير أن يضيع اتجاهه الروحي دقيقة واحدة، فالإسلام لا يجعل احتقار الدنيا شرطاً للنجاة في الآخرة، وفي الإسلام لا يحق لك فحسب، بل يجب عليك أيضاً أن تفيد من حياتك إلى أقصى حدود الإفادة. إن من واجب المسلم أن يستخرج من نفسه أحسن ما فيها كيما يشرّف هذه الحياة التي أنعم الله عليه بها، وكيما يساعد إخوانه من بني آدم في جهودهم الروحية والاجتماعية والمادية.الإسلام يؤكد في إعلانه أن الإنسان يستطيع بلوغ الكمال".

مشهد الصلاة

ويقدم في كتابه مشهداً من المشاهد التي أثرت فيه وحببته في الإسلام، وذلك عندما دخل الجامع الأموي في دمشق، ورأى مئات المصلين وهم يصطفون في صفوف طويلة منتظمة خلف الإمام، يفعلون ما يفعل في نسق واحد وبصمت مثل الجنود، وهم يسمعون صوت الإمام يتلو آيات القرآن الكريم. ويقول أسد إنه في تلك اللحظة أدرك مدى قرب الله منهم وقربهم منه، وأن صلاتهم لا تنفصل عن حياتهم اليومية، بل وتعينهم على نسيان مآسيهم وما يعكر صفو حياتهم، ما أعظم هذا الشعور أن الله قريب منهم، وما الذي يمكن أن يحسوه غير ذلك. ويقول أسد إنه تمنى أن يملأ قلبه هذا الشعور، وأحس

بضرورة فهم روح تلك الشعوب المسلمة لما وجده فيهم من تلاحم عضوي بين الفكر والحواس، ذلك التلاحم الذي فقده الأوروبيون.

الإفاضة مع الحجيج

وعندما يقوم برحلته للحج ينبهر بما شاهده في البقاع المقدسة ومدن الحجاز، فيصف إفاضته مع الحجيج من عرفات ويقول: "ها نحن أولاء نمضي عجلين، مستسلمين لغبطة لا حد لها، والريح تعصف في أذني صيحة الفرح، لن تعود بعد غريباً، لن تعود، إخواني عن اليمين، وإخواني عن الشمال، ليس بينهم من أعرف، وليس فيهم من غريب، فنحن في التيار المصطخب جسد واحد، يسير إلى غاية واحدة، وفي قلوبنا جذوة من الإيمان الذي اتقد في قلوب أصحاب رسول الله، يعلم إخواني أنهم قصّروا ولكنهم لا يزالون على العهد، سينجزون الوعد "لبيك اللهم لبيك"، لم أعد أسمع شيئاً سوى صوت (لبيك)، في عقلي، ودويّ الدم وهديره في أذني، وتقدمت أطوف، وأصبحت جزءاً من سيل دائري، لقد أصبحت جزءاً من حركة في مدار، وتلاشت الدقائق، وهدأ الزمن نفسه، وكان هذا المكان محور العالم".

سبيل النجاة

ويسلط محمد أسد الضوء على سبيل النجاة من واقعنا المتردي فيقول في كتابه الفذ "الإسلام على مفترق طرق": "ليس لنا للنجاة من عار هذا الانحطاط الذي نحن فيه سوى مخرج واحد، علينا أن نُشعر أنفسنا بهذا العار، بجعله نصب أعيننا ليل نهار، وأن نطعم مرارته، ويجب علينا أن ننفض عن أنفسنا روح الاعتذار الذي هو اسم آخر للانهزام العقلي فينا، وبدلاً من أن نُخضع الإسلام باستخدام المقاييس العقلية الغربية، يجب أن ننظر إلى الإسلام على أنه المقياس الذي نحكم به على العالم. أما الخطوة الثانية فهي أن نعمل بسنة نبينا على وعي وعزيمة، ويجب على المسلم أن يعيش عالي الرأس، ويجب عليه أن يتحقق أنه متميز، وأن يكون عظيم الفخر لأنه كذلك، وأن يعلن هذا التميز بشجاعة بدلاً من أن يعتذر عنه".

ومنذ أكثر من نصف القرن يحذر محمد أسد في كتابه "الإسلام على مفترق طرق" من مارسوا انهزامية كهذه، وأن يكون المسلمون أكثر تأصيلاً ثقافياً، مشدداً على أن الإسلام بخلاف سائر الأديان، إنما هو فلك ثقافي اجتماعي واضح الحدود، فإذا امتدت مدنية أجنبية بشعاعها إلينا، وأحدثت تغيراً في جهازنا الثقافي، كما هو الحال اليوم؛ وجب علينا أن نتبين لأنفسنا إذا كان هذا الأثر الأجنبي يجري في اتجاه إمكانياتنا الثقافية أو يعارضها، وما إذا كان يفعل في جسم الثقافة الإسلامية فعل المصل المجدد للقوى أو فعل السم.

ويخلص إلى القول إن الشيء الوحيد الذي لا يستطيع المسلمون أن يتمنوه هو أن ينظروا بعيون غربية ويروا الآراء الغربية، إنهم لا يستطيعون إذا أرادوا أن يظلوا مسلمين أن يتبدلوا بحضارة الإسلام الروحية تجارب مادية من أوروبا.

عظمة القرآن الكريم

ويقف مع القرآن الكريم، ومما أدهشه فيه أنه لا يقتصر اهتمامه على الجوانب الروحية فقط، وإنما أيضاً اهتم بالجوانب الأخرى من الأمور الدنيوية، فلم يدع القرآن الكريم المسلمين ينسون أن الحياة الدنيا ليست إلا مرحلة في طريق البشر نحو تحقيق وجود أسمى وأبقى، وأن الهدف النهائي ذو سمة روحية، ويرى أن الرخاء المادي لا ضرر منه، وهو ليس غاية في حد ذاته، ولا بد أن تقنن شهية الإنسان وشهواته وتتم السيطرة عليها بوعي أخلاقي من الفرد.

ويقول إن القرآن الكريم ينظر إلى الجوانب الفكرية والأخلاقية بتقدير وإجلال، وإن منهجه في تناول مشكلات الروح أعمق كثيراً من تلك التي وجدها في التوراة، هذا عدا أنه لم يأت لبشر دون بشر، ولا لأمة بذاتها دون غيرها، كما أن منهجه في مسألة البدن بعكس منهج الإنجيل، منهج إيجابي لا يتجاهل البدن، حيث إن البدن والروح معاً يكونان البشر كتوأمين متلازمين. ويرى أسد أن ذلك المنهج هو السبب الكامن وراء الإحساس بالأمن والتوازن الفكري والنفسي الذي يميز المسلمين، وبالعكس فإن الحضارة الغربية لم تستطع حتى الآن أن تقيم توازناً بين حاجات الإنسان الجسمية والاجتماعية وبين أشواقه الروحية.

وفي عام (1992م)، تنتهي حياة هذا الرحالة والعالم والمفكر المسلم، الذي يعد من العقول الإسلامية المتفتحة التي أنتجت فكراً وأدباً وقيماً عالية، وقامت بدورها في التوجيه والإرشاد، وتفاعلت مع قضايا الأمة خير تفاعل، وقد دفن جسده الطاهر في مقابر المسلمين بمدينة غرناطة بالأندلس.

الرفق بالحيوان سبق حضاري إسلامي

بقلم الدكتور أحمد علي سليمان
عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ مصر

من الأمور التي تدعونا للفخر والزهو بديننا وبرسولنا العظيم سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، أنه كان سبَّاقًا ومُبَادِرًا في كل خير... سبَّاقًا في البناء (المادي والمعنوي)، حيث أبدع النبي العظيم في إقرار الآداب والأخلاقيات الكفيلة بإيجاد حياة صالحة، بل أبدع في مراعاة مشاعر البشر وأحاسيسهم ونفسيتهم.

وتخطى هذا النسق الإنساني المهم والراسخ في ديننا، إلى السبق الحضاري المبكر في نسق آخر ربما يكون فريدًا من نوعه، وهو مراعاة مشاعر الحيوان الأعجم وأحاسيسه، ومن ثم فاقت جهوده بمدى واسع ما في الحضارة الحديثة في إقرار حقوق الحيوان.

حضارة العلم والإيمان والرحمة:

وهكذا أسس النبي العظيم حضارة العلم والإيمان والرحمة على أسس ربانية سليمة، ضامنة لصلاحيتها وشموخها وصمودها وبقائها ووفائها بمتطلبات الحضارة والتطور والمستجدات.

واشتملت حضارتنا على الحقوق والواجبات بتوازن جليل وفيها:

- مقومات أخلاقية إنسانية؛ لتحقيق الصلاح والإصلاح.
- ومقومات العالمية، لتكون عامة لكل الدنيا.
- ومقومات الخاتمية؛ لتبقى إلى أن يقوم الناس لله رب العالمين.

المولد الحقيقي لحقوق الإنسان والحيوان:

كان الميلاد الحقيقي لحقوق الإنسان، وحقوق الحيوان والنبات وحتى الجماد، ببَعثة النبي الكريم سيدنا محمد (صلَّى اللَّه علَيه وسلَّمَ) الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه؛ لذلك شاءت إرادةُ اللهِ (عز وجل) أن تكون حياته صفحةً مفتوحة للجميع. ولقد سجلت السُّنةُ الشريفةُ والسيرةُ النبويةُ جميعَ وقائع حياة النبي (صلَّى اللَّه علَيه وسلَّمَ)، من أقواله، وأفعاله، وعباداته، وأخلاقه، وأسفاره وعاداته، وشكلَ لباسه، وهندامه، وملامح وجهه، وخَلقه، وخُلُقه، وشخصيته، وكيفيةَ تكلمه، كما سجلت آداب طعامه، وشرابه، ونومه، وصحوه، وتبسمه، وعشرته لأهل بيته، وأصدقائه، وأعدائه؛ حتى نتعلم العبادات والمعاملات والحقوق والواجبات والأخلاقيات التي جاء بها لبناء الإنسان، وإصلاح الكون وإسعاد حياة الحيوان في بيت النبي (صلى الله عليه وسلم):

ولما جاء الرسول الكريم أرسى حضارة العلم والإيمان والرحمة بمعناها الشامل ومنها: الرحمة بالحيوان، يظهر ذلك من دعواته المتكررة -التي لم تتوقف- بالرحمة بالحيوان بكل أصنافه وأنواعه، وأيضاً من تطبيقاته الشخصية مع الحيوانات التي كان يمتلكها وغيرها؛ حيث كانت له ناقة تسمى القصواء -وهي التي هاجر عليها من مكة إلى المدينة- كما كان له ناقتان أخريان تسميان العضباء والجدعاء، وكانت ناقته العضباء لا تُسْبَق، وكان له حمار يقال له عُفَير... ولعل هذه الحيوانات وغيرها مما كان في بيت النبوة كانت مضرب المثل في العناية والرعاية والتكريم، ولا سيما وهو يعلم أصحابه والمسلمين من بعده والناس أجمعين، كيف يكون الرفق الحقيقي

من مظاهر رحمة النبي (صلّى اللّهُ علَيهِ وسلّمَ) بالحيوان أنه أمر بالإحسان إليه والرفق به

بالحيوان، وكيف تكون العناية الجسدية والنفسية بهذا الحيوان الذي سخره الله لبني الإنسان.

حضارة الرحمة.. ومثالية الرفق بالحيوان الأعجم:

ومن مظاهر رحمة النبي (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ) بالحيوان أنه أمر بالإحسان إليه والرفق به، وقد ركِبتُ السيدة عائشة (رضي الله عنها) بعيرًا، فكانت فيه صعوبةٌ، فجعلت تُرَدِّدُه -أي تمنعه وتدفعه بشدة- وربما قست عليه، فوجهها النبي (صلَّى اللَّه علَيهِ وآله وسلَّمَ) إلى الرفق بقوله: "إنَّ الرِّفقَ لا يكونُ في شيءٍ إلَّا زانه، ولا يُنزعُ من شيءٍ إلَّا شانه" (رواه مسلم).

وقصَّ النبي الكريم على أمته قصة الرجل الذي أحسن إلى الكلب وسقاه؛ فشكرَ اللَّه لهُ، فغفرَ لهُ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلَّى اللَّه علَيهِ وسلَّمَ) قال: (بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ اشتدَّ عليهِ العطَشُ، فوجدَ بئرًا، فنزلَ فيها فشربَ، ثمَّ خرجَ فإذا كلبٌ يلهَثُ يأكلُ الثَّرَى منَ العطَشِ، فقالَ الرَّجُلُ: لقد بلغَ هذا الكلبَ منَ العطشِ مثلُ الَّذي كانَ بلغَ بي فنزلَ البئرَ فملأ خفَّهُ ثمَّ أمسَكَهُ بفيهِ -أي بفمه- فسقى الكلبَ فشكرَ اللَّه لهُ، فغفرَ لهُ، قالوا: يا رسولَ اللَّه وإنَّ لنا في البهائمِ أجرًا؟ فقالَ: في كلِّ ذاتِ كبِدٍ رطبةٍ أجرٌ. (أخرجه البخاري).

الإسلام.. وتحريم وتجريم إيذاء الحيوان

ومن عظمة النبي (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ) ورحمته التي شملت كل شيء أنه نهى عن إيذاء الحيوان بأي صورة من صور الإيذاء، حيث شدد في: النهي عن إيذاء الحيوان أو التمثيل به فحذر عليه الصلاة والسلام من إيذاء الحيوان، أو التمثيل به، وهو قطع قطعة من أطرافه وهو حي، ولعَن من فعل ذلك؛ فعن عبد اللَّه بن عمر (رضي اللَّه عنهما) قال: لعَنَ النَّبيُّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم مَن مَثَّل بالحيوانِ (أخرجه البخاري في صحيحه).

النهي عن وسم الحيوان بالنار أي كيّه بها لتمييزه

لقد نهى النبي الرحيم عن وسم الحيوان بالنَّار أي كيِّه في وجهه بها؛ ليكونَ علامةً له.. فعن جابر (رضي الله عنهما)؛ أنَّ النبيَّ (صَلَّى اللَّه عليه وَسَلَّمَ) مَرَّ عليه حِمَارٌ قدْ وُسِمَ في وَجْهِهِ، فَقالَ: لَعَنَ اللَّه الذي وَسَمَهُ (صحيح مسلم). وفي الحديث النَّهيُ عَن وسْمِ الحيواناتِ وعَنِ تعذيبها بالنَّارِ في أي مكان.

النهي عن حبس الحيوان وتجويعه

أوجب رسول الإسلام والإنسانية للحيوان على صاحبه الحقَّ في الطعام والشراب والراحة، وتوعد من لم يفعل ذلك بالعذاب في الآخرة، حيث حرم حبس الحيوان وتجويعه، فعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي (صلَّى الله عليه وسلَّمَ) قال: "دَخَلَت امْرَأَةٌ النَّارَ في هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، -وفي رواية حبستها- فَلَمْ تُطْعِمْهَا، ولَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِن خَشَاشِ الأَرْضِ" (صحيح البخاري).

فالله تعالى يعذبها بسبب ذلك، فما بالنا بمن يعتدي على خلق الله أو مخلوقات الله بالتعذيب أو الحرق أو الإرهاب أو القتل؟! والعياذ بالله.

وهذا الحديث يدُلُّ على أنَّ تعذيبَ الحيوانِ يترتَّبُ عليه العقوبةُ والنَّارُ، وفيه الوعيدُ الشَّديد لِمَن عذَّبَ خلق الله أو أرهبهم.

وإذا كانت الإشارة هنا لهرة، فإن هذا الحكم ينسحب على ما في معناها من الدواب، ويزداد التشديد في حالة الحيوانات النافعة، إذ هي مملوكة ومحبوسة ومشغولة بمصالح المالك، ومن ثم يجب أن نتعهدها بالماء والعلف والراحة والعلاج؛ لتتهيَّأ لما نريده منها، فإذا أردنا ركوبها، تكون صالحة للركوب قوية، ويجب ألا نحمِّلها ما لا تطيق. ومن ذلك ما أكده العلماء أنه يجب على مالك النحل أن يُبقي للنحل شيئًا من العسل في الخلية بقدر حاجته وطعامه. (انظر محمد إلهامي، حقوق الحيوان).

- النهي عن اتخاذ الحيوان هدفًا للرمي حيث كان بعض الناس قديما يتعلمون الرماية بتصويب السهام والنبال وغيرها إلى الحيوانات، فشدد الإسلام الحنيف في النهي عن هذا الصنيع الشنيع.

- النهي عن اتخاذ ظهر الدابة منبرًا يخطبون عليه، أو يتناشدون الشعر وهم على ظهور الدواب، وكان ذلك ديدنهم وقتذاك في منتدياتهم وتجمعاتهم فنهاهم

الإسلام عن ذلك، رفقا بالحيوان الأعجم ورحمة به.

- تحريم تجويع الحيوان أو الإثقال عليه، فعن جرير بن عبد الله (رضي الله عنه) أن النبي (صلَّى الله عليه وسلَّمَ) قال: "مَن يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الخَيْرَ" (صحيح مسلم).

وبلغ النبي (صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ) في رعاية الحيوان والاهتمام بعاطفة الأبوة والبنوة؛ أنه نهى عن التفريق بين الأم وفراخها، كما شدد في تحريم حرق الحيوان بالنار. جاء ذلك في الحديث الذي رواه أبو داود في قصة الحمَّرة. والحديث فيه النَّهيُ عن تفزيع الطُّيور بأَخْذِ صِغارِها.

ورَأى النَّبيُّ (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)، "قريةَ نَمْلٍ قَدْ حرَّقْنَاها" والحديث لعبد الله بن مسعود، والمُرادُ بالقَريةِ: هي مَساكِنُها، فقال (صلَّى الله عليه وسلَّم): "مَنْ حَرَّقَ هذه؟" قال بعضُ أصحابه: "نَحْنُ"، فقال (صلَّى اللَّه عليه وسلَّمَ): "إنَّه لا يَنْبَغي أنْ يُعذِّبَ بالنَّارِ إلَّا ربُّ النَّار"، ومن ثم فليس لأيِّ إنسان أن يُعذِّب أيَّ رُوحٍ إنسانًا كانتْ أو حيوانًا؛ لأنَّه لا يُعذِّبُ بالنَّارِ إلَّا خالِقُها.

ومن صور مراعاة النبي الحكيم (صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ) لمشاعر الحيوان وأحاسيسه، واحتياجاته ما يلي:

- دعا النبي الكريم إلى الإحسان بالحيوان عمومًا، وفي السفر خصوصًا، حيث كان الحيوان يمثل وسيلة السفر

الأساسية لدى العرب آنذاك - كما ذكرنا-، لذا أكَّد على عدم إرهاقه أو الإساءة إليه، وأكَّد على مَن يركب الدابة في السفر أن يحسن إليها.

- وعلَّم أصحابه (رضي الله تعالى عنهم) أنهم إذا نزلوا من على الدواب في السفر، ألا ينشغلوا بالصلاة، حتى يُنْزِلُوا الرحالَ والأحمال من على ظهور الدواب.. فأية عظمة وأية حضارة عظيمة تلك التي أرساها رسول الإنسانية؟!

- ولأن الدواب تتغذى من نباتات الطريق، والأعشاب العمومية التي خلقها الله في الصحراء وغيرها، فقد أمر النبي الحكيم مَن يركبونها بأن يراعوا ذلك، وعلمهم أنه حين يسيرون في طريق خصب بالنباتات فلا يُسرعوا، لماذا؟؛ حتى تأخذ الدابة حقها وكفايتها من الطعام، وحين يسيرون في طريق مجدبة لا تجد فيها الدابة ما تتغذى عليه، فعليهم أن يسرعوا في المسير، لماذا؟ حتى لا تجوع الدواب وحتى يصلوا إلى أماكن أخرى للطعام.

فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ) قال: "إذا سافَرْتُمْ في الخِصْبِ، فأعْطُوا الإبِلَ حَظَّها مِنَ الأرْضِ، وإذا سافَرْتُمْ في السَّنَةِ [أي: في زَمَنِ الجَدبِ] فأسْرِعُوا عليها السَّيْرَ..". (صحيح مسلم).

ومن ذلك أيضاً:

- نهيه (صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ) أن تذبح الذبيحة أمام أختها.

- ونهيه (صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ) أن تُسن المدية -أي السّكين- أمام الذبيحة.

- ودعوته (صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ) إلى الإحسان إلى الحيوان واحترام مشاعره عند ذبحه.

" ونهيه (صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ) عن تعذيبه جسديًّا بسوء اقتياده للذبح، أو برداءة آلة الذبح.

- كما نهى عن تعذيبه برؤيته للسكين.

ولعل ذلك من أبرز تجليات رحمة الحضارة الإسلامية التي أسسها رسول الإنسانية الذي قال: (إنَّ اللَّه كَتَبَ الإحْسَانَ على كُلِّ شيءٍ... وإذَا ذَبَحْتُمْ فأحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ). (صحيح مسلم).

- ودعوته (صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ) عند حلب البهيمة أن نترك في ضرعها لبنًا يكفي لإرضاع ولدها، فقد مرَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) على رجل يحلب شاة، فقال له: "أيْ فُلانُ إذا حلَبْتَ فأبْقِ لولدها فإنَّها من أبَرِّ الدَّوابِّ". (أخرجه الطبراني في الكبير).

الأمنية العمرية

بقلم: صبغة الله الهدوي

جلس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعه جماعة من الصحابة، فقال عمر: تمنوا، فقال أحدهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءةٌ ذهبًا أنفقه في سبيل الله. وقال رجل آخر: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤًا وزبرجدًا وجوهرًا أنفقه في سبيل الله وأتصدق به، ثم قال عمر: تمنوا، فقالوا: ما ندري ما نقول يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: ولكني أتمنى رجالاً مثلَ أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذِ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، فأستعين بهم على إعلاءِ كلمةِ الله "(أورده ابن سعد في الطبقات).

هذه الجلسة العمرية التي تعبر عن مدى شوقه وعمق رؤيته للفتوحات الإسلامية والتي ستغير مجرى التاريخ هي أكثر من جلسة ينبغي علينا أن نجلسها، بل هي أعلى وأكبر من كل تلك الجلسات التي نجلسها على شرفاتنا وعلى عتباتنا نحتسي القهوة ونسامر النجوم لينتهي بنا الحال إلى أسرَّة ناعمة الفراش وننام براحة البال. فهذه جلسات بلا وحي ولا وعي. أما هناك حين يجلس الأمير فالرجاء أن يفتح الدنيا ويشغل العالم بعدله وبسالته وحنكته في أقضيته، مفكرا في مستقبل زاهر ينمو. يهزه الحنين إلى إخوته من الصحابة، فما أعظم هذه الجلسة وما أعظم تلك المبادئ والمواقف، جلسة فكرية، جلسة تعلوها الهيبة والعبقرية، جلسة ترسم لوحة الأمة الأبية، وتكتب خطتها وخريطتها، وتختزل مدى عمق المسؤولية التي يحملها المسلم على عاتقه، فيها هيبة الماضي واستشراف المستقبل.

وانطلاقا من هذه الهموم العمرية نقف ساعة على هذا الأثر الرائع ونمضي في ثناياه: "أتمنى رجالاً مثلَ أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذِ بنِ جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، فأستعين بهم على إعلاءِ كلمة اللّٰه".

لماذا يرجو عمر ميلاد هؤلاء الأبطال مجددا، ويعدل مسار التفكير لدى إخوانه من الصحابة حين يتمنون جنات وجواهر، ويتخيلون مالا ومفاخر، فما هي المزايا التي تخص هؤلاء الصحابة الكرام، وماذا قدموا للإسلام حتى يكونوا الخيار الأول لدى أمير المؤمنين؟

لأن هؤلاء الثلاثة وزنوا الأمة بأخلاقهم وفعالياتهم، إذ كان أبو عبيدة بن الجراح معروفا بحنكته السياسية وأمانته وطهارة قلبه، صاحب شجاعة فريدة في أوقات عصيبة، وقد قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: "لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح"، وعن كفاءته شهد له أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: عمر بن الخطاب، وأبا عبيدة بن الجراح"، وعن مكانته قال عمر بن الخطاب حين حضرته الوفاة: "لو كان أبو عبيدة حيًا لاستخلفته فإن سألني ربي غدا، قلت: استخلفت أمين الله وأمين رسوله"، وأما معاذ بن جبل فيقول عنه الرسول حين بعثه قاضيًا على أهل اليمن: "بعثت لكم بخير أهلي"، وأما سالم مولى أبي حذيفة فهو من حفظة القرآن ليكون المصدر المعتمد إذ قال عنه صلى الله عليه وسلم "استقرئوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب.

فبكل يقين، إن هؤلاء الثلاثة يمثلون شرائح مختلفة في المجتمع، فأبو عبيدة يمثل طبقة القادة ورجالات الحكم وخبراء السياسة، ومعاذ بن جبل يمثل العلماء الربانيين، والفقهاء والدعاة المصلحين والمثقفين النابهين، وسالم يمثل طبقة العمال الكادحين والموظفين المخلصين كأنه يقول في اختياره هذا أن الأمة إذا أرادت أن تستعيد مجدها وتسترد كرامتها عليها أن تنصب في صدارتها أمينا عالما عفيفا يتفقد الرعية كما تفقدها عمر، رضي الله عن الصحابة أجمعين.

رابطة العالم الإسلامي

MUSLIM WORLD LEAGUE